﴿ملخص دروس العقيدة الإسلامية لشيخ البوطي رحمة الله عليه﴾

مشاركة: فاطمة حكيمة

❖ **مقدمة أولى :** أهمية هذه الدروس

أسباب اختيار الموضوع

الاعتماد في هذه الدروس يكون على كتاب " كبرى اليقينيات الكونية " الذي هو عبارة عن مجموعة محاضرات، وتمتاز أنها تجيب عن سائر الشبه والمشكلات التي تطوف بدهن المثقفين حول أمور العقيدة الإسلامية، ونحن نعيش الغزو الفكري الذي يتجه إلى أسس العقيدة الإسلامية خاصة . والمحاضرات تضمنت حوار مع الطلبة والرد على الأفكار والشبهات التي يدسها أعداء الدين، ورسل الغزو مازالوا يصدرونها مهما مزقت ورفضها المنطق ورد عليها العلم، ويطمعون بالجيل الجديد ربما تلقاها وتأثر بها . لهذا من الضروري الرد على هذه الشبهات لتحصين الشباب منها .

ـ المسلمون الملتزمون بعقائد الإسلام ومبادئه السلوكية متهمون من عملاء الغزو الفكري على أنهم متمسكون بدين على حساب العلم، ولكي يكونوا علْمِيين ينبغي أن يكونوا ملحدين هكذا يتصور كثير من التائهين عن الإسلام اليوم

ومن خلال هذه الدروس سيتبين لنا من هم الذين يتعاملون مع العلم حقيقة، ومن هم الذين يتعاملون مع ألفاظ العلم وشعاراته وهم فقراء إلى العلم، ودراستنا لمسائل العقيدة الإسلامية يكون بالبحث عن أدلتها العلمية، وهكذا يتم اعتناق المسائل العقدية .

الميزان العلمي الذي نحتكم إليه عند دراسة مبادئ العقيدة الإسلامية :

المنهج العلمي المتبع للوصول إلى حقيقة علمية، حيث أن علماء المسلمين وضعوا منهجا أي ميزانا لتميز بين الأمور العلمية الحقيقية عن غيرها التي لا أصل لها، والذي جعل العلماء يضعون هذا الميزان إنه القرءان الذي يقول :" **ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولائك كان عنه مسئولا** "أي لا تتبع مبدأ فكريا اعتقادي قبل أن تجد دلائل العلم عليه حتى الدين . ويقول تعالى :" **وما يتبع أكثرهم إلا ظنا، إن الظن لا يغني من الحق شيئا** " أي لا تتبع الحق بالظن الذي لا يوصلك إلى اليقين . والظن لا يغني من الحق شيئا .

والميزان العلمي الذي ينبغي أن نستعمله لمعرفة حقائق الكون ولتميز بين الحقائق وأشباهها، ويتلخص هذا في قاعدة مختصرة ومكثفة تقول :" **إن كنت ناقلا فالصحة، وإن كنت مدعيا فالدليل** " معنى هذا الكلام :

أن المسألة العلمية إما أن تكون إخبار أو دعوى مبتدعة من شخص . وكلاهما بحاجة إلى أدلة لترقى إلى مستوى العلم .

إن كنت ناقلا فالصحة : عندما أتلقى أخبارا تاريخية مثلا، ولناقل للأخبار نطالبه بدليل حتى يصحح نقله، ويتم ذلك على أن يكون بينه وبين نقله للخبر سلسلة من الأسانيد المتصلة إلى مصدر الخبر، وأن تكون سلسلة الرواة كلهم ثقات، وضابطين، والخبر بهذا الشكل يورث الظن لأن احتمال خطأ بعض الرواة في السلسلة وارد ولو بالمائة واحد، ولا يكلفنا الله الاعتماد عليه في العقائد . ويصبح الخبر صحيح و **متواتر** إن صح عن كثير من كثير إلى مصدر الخبر . هذا هو الذي يورث اليقين لأن مصدره دليل يقيني . والحضارة الإسلامية تميزت عن غيرها بعلم اسمه فن نقد الرجال، وهي قواميس تضبط الرجال . وجميع الرواة كان لهم من يتعقبهم ويتابع سلوكه حتى يتبين أنه ثقة أو حجة أو لا بأس به، وهكذا يصنفون . مثلا " عبد الرحمان ابن غزوان " من الرواة غير الثقة، إذن الخبر الذي فيه هذا الشخص ضعيف .

❖ **مقدمة ثانية :** السبيل المتخذة للتحقيق في الإدعاء

نجد أن جميع كتب التاريخ القديمة رواياتها تعتمد على الإسناد مثلا كتاب "البداية والنهاية لابن كثير" وإن كان الخبر من واحد فاثنين وثلاثة...يسمى حديث آحاد يعطيك الظن ولا يرقى إلى اليقين

إن كنت مدعيا فدليل :الإدعاء كقولنا عن كروية الأرض أو أن الأرض تدور أو أن التربة الجيرية لا تصلح لنبات، وهذه كلها دعوى علمية، نحتاج فيها إلى الدليل لتصديق .مادام الدعوي متنوعة فلابد أن يكون الدليل منسجم مع الدعوة .

1. هناك دعوي مادية تخضع لتجربة والمشاهدة وهذه كلها لم يحدد فيها ربنا بيانا دقيقا وإنما أهاب بنا أن ننظر ودعانا أن نجرب مثلا في قوله تعالى :" قل أنظروا ماذا في السموات والأرض"وقوله :" وفي أنفسكم أفلا تبصرون " والقرءان لم يحدثنا عن القواعد العلمية في الأمور

المادية الخاضعة لتجربة والمشاهدة كي لا نجبر على الاعتقاد بها دون التجربة والمشاهدة ، إنها حكمة رب العالمين واحتراما للعقل الإنساني وهو يدفعك للبحث العلمي ويعطيك عناوين المسائل العلمية .

2. وهنالك دعوى تتعلق بأمر غيبي لا يخضع لا لتجربة أو المشاهدة ودليلها العلمي اسمه:

دليل التلازم مثلا معلم يقول لتلامذته أن الإنسان القديم كان ينتمي لفصيلة القردة لنفرض كلامه صحيح فإن هذا يستلزم العودة إلى الهياكل العظمية ونكتشفها والتي تعود إلى ما قبل عشرات ألاف السنين للإنسان القديم ينبغي أن نجدها تختلف عن هيكل الإنسان الآن . وعدنا فوجدنا أن هيكل الإنسان القديم هو نفسه هيكل الإنسان الآن ، إذن هذا الدليل كذب باعتمادنا على قانون التلازم .وهذا القانون يتفاوت في القوة والضعف حيث هناك تلازم عقلي وتلازم طبيعي مثل رؤية شخص مصفر اللون تلازم المرض، وتلازم عرفي مثل رؤية سيارة الإسعاف تلازم وجود مريض .

مثال ثاني قالوا أن الإنسان القديم لم يكن يملك وعيا ولا لغة، وشعوره المستمر إلى الطعام والشراب والمأوى والكساء، وهذا ما فجر الوعي في دماغه وهذا الوعي فجر اللغة في لسانه . نحتاج هنا إلى قانون التلازم لبيان صحة أو خطأ هذا الإدعاء، لنفرض أن الدعوى صحيحة، وهي لها نتائج ومستلزمات إن كانت موجودة فا دعوى صحيحة وإن كانت غير موجودة فهي باطلة . من المستلزمات أن الحيوانات التي تعيش بالأدغال تتمتع بالوعي وتتمتع بالنطق إذا هي الأخرى كانت تشعر قديما بالحاجة إلى الطعام والشراب والمأوى ونحو ذلك،هذا جامع مشترك.لننظر إلى تلك الحيوانات من السباع الضارية نجد أنها لا تتمتع لا بالوعي ولا باللغة إذن هذه الدعوة باطلة

البارئ عز وجل في الأمور الغيبية إما التي وقعت أو ستقع فإن البارئ يخبرنا عنها، وعندها أصبح لنا دليل ثاني عنها وهو **الخبر** ولمن لا يؤمن بأن القرءان كلام الله يستعمل قانون التلازم يتبين له أنه مستحيل أن يكون كلام بشر أو جن، وإنما هو كلام الله الذي نؤمن به ومضمونه صحيح وقد وصل إلينا عن طريق التواتر.

❖ **مقدمة ثالثة :** منهج البحث عند الغربيين منهج تمحيص النقول والأخبار

القانون يقول :" **إن كنت ناقلا فالصحة،وإن كنت مدعيا فالدليل** "لو تساءلنا عن المنهج الذي اتبعه الغربيون في:

1. الأخبار التي يرونها نجد أنه لا شيء، لا علم لهم بالسند ،أو بما يسمى خبر يعتمد فيه على الرواية بسند صحيح . والدليل أنك لما تقرأ كتاب في التاريخ للغربيون لا تجد هذا كما تقرأ لابن كثير ابن خلدون . وإنهم يعتمدون على **الاسترداد** بوضع نفسه في ذلك العصر وتحليل الوقائع وفق ذلك **والتوسم** هو الإعتماد على المستحثات و الآثار الموجودة في ذلك العصر يجمعوها ويدرسوها ويستنبطوا منها . مثلا دراستهم لحرب هارون الرشيد مع البرامكة يعتمدون على تحليل شخصية هارون الرشيد وعلاقة البرامكة معه وهذه هي قضية الاسترداد . وانعدام الإسناد عندهم لأنه علم متعب جدا جداً، والذي جعل المسلمين يبحثون في هذا العلم هو حبهم وإيمانهم برسول الله، وأن هناك من يريد أن يكذب على رسول الله، وعلموا أنهم ملزمون بفرز الصحيح من غير الصحيح مما ينقل عن رسول الله، وهذا يتعلق بموقفهم أمام رب العالمين، هذا الذي جعلهم يتعبون أنفسهم في سبيل استخراج علم الإسناد أي علم مصطلح الحديث .

لهذا نجد أن الغربيين عندما يكتبون في التاريخ فإن رغباتهم وعصبياتهم وأفكارهم تلعب دور كبير في تصوير التاريخ . ولهذا نشأ عندهم شيء اسمه المذهب **الذرائعي** البراقماتية أي أن الأمور العقائدية لا تنظر إليها صحيحة أم باطلة، وإنما ابحث على ما يتفق مع مصلحتك خذه وما لا يتفق اتركه . و " وليام جيمس " له كتاب اسمه " إرادة الاعتقاد "أي أحكم على الأمور الغيبية حسب مصلحتك، ولهذا هم عندما يدرسون سيرة رسول الله يدرسونها من هذا المنطلق .

2.وعن منهجهم في الإدعاء، فإن كانت الدعوة مادية فإن الغرب أبدع منهجا دقيقا في الوصول إلى الحقائق المادية وهي التجربة والمشاهدة . أما عن الدعاوي الغيبية التي لا تخضع لتجربة والمشاهدة هنا أيضا أخفق الغرب وليس لهم منهج علمي يعتمدون عليه قط، وإنهم يعتمدون عند الدراسة على أخيلتهم والتوسم والاسترداد .

❖ **مقدمة رابعة:** ما الذي أحوج الإنسان إلى العقيدة الصحيحة عن الكون والحياة والتزام مقتضياتها

إن المسلم لا يتبنى مبدأ من مبادئ العقيدة الإسلامية إلا على أساس من العلم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .أمامنا أصناف من الناس منهم الملاحدة وأصحاب العقائد المهزوزة، يقول أحدهم لماذا حملنا الله عز وجل هذه الأثقال من مبادئ العقيدة وتطبيقات السلوكية وما إلى ذلك، ولماذا لم يترك الإله عباده أحرارا يبنون حياتهم بطريقة التي يحبون . والسؤال المطروح ما الفائدة من أن نغرس في عقولنا قائمة طويلة من المعتقدات، ثم نجعل سلوكنا مقيد بما تقوله هذه المعتقدات ؟ الجواب هو التالي ربنا عز وجل شاء أن يجعل الإنسان هو سيد المخلوقات في هذه الدار ولقد أعلن عن ذلك عندما قال :" **ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا**" وسخرت للإنسان المكونات التي من حوله وهي خادما لمصالحه، وبتالي تميز الإنسان عن غيره بمزايا معينة كي يستخدم هذه المسخرات لصالحه ومنها العقل الإدراك، الشعور بذات، القوة والطاقة وبتالي النزوع إلى السيطرة والجاه والحماية ورعاية الممتلكات ونحوها وهذه الصفات في الحقيقة خطيرة وكل واحدة لها حدان، حد مهلك وحد مسعد . وهذه هي الأمانة التي حملها الإنسان . والضمانة التي تجعل الإنسان يستعمل هذه الصفات فيما يسعده وإخوانه من بني جنسه هي أن يعلم الإنسان ذاته وأن يقف أمام مرآة هويته أنه عبد مملوك لمالك، وأن يتلقى من هذا الإله التعليمات التي ينبغي أن يمارسها في هذه الحياة الدنيا، والتعليمات التي على أساسها ينبغي أن يمارس هذه الصفات والتي هي أمانة مستودعة عنده . وأن يتلقى المنهج الذي ينبغي أن يسلكه في هذه الحياة لبناء هذا العالم ولعمارة الأرض، والقيام بالمهمة التي بعث إليها كسيد فوق هذه الأرض . هذه الضمانات هي هذا الدين .

لو تأملنا في التاريخ الإنساني لوجدنا أن كل أمة ابتعدت عن منهج الله وحجبت عن هويتها كان نتيجتها الطغيان البغي وخاصة إذا كانت من الفئات القوية .

أما المجتمعات التي نفدت التعليمات واصطبغت بهذا الإيمان بشكل حقيقي لرأيتم أنه كان مثال المجتمع السعيد المسعد . مثلا لنتأمل قصة سيدنا موسى لما بعث لفرعون فكذبه وقال لأهله أنظروا هذا يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره، هكذا شأن الطغاة لما يشعرون بالخطر يلتجئون إلى شعبهم . وتأمل سحرة فرعون وتفريقهم بين السحر الوهمي وانقلاب الحقائق ولتلقم عصى موسى كل تلك الحبال، وهكذا علم السحرة أن موسى هو نبي حق ومرسل، ولما هددهم فرعون لم يأبهوا بكلامه لأن الإيمان استقر بقلوبهم وعلموا هوياتهم، وأن فرعون مثلهم .

❖ **مقدمة خامسة : موقع العقيدة الإسلامية من الديانات السابقة**

هل العقيدة الإسلامية خاصة بما بعث به رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ؟ وهل الأنبياء السابقون قد بعثوا بعقيدة مختلفة ؟ وبذلك تجمعت ما يسمى بأديان سماوية ؟ أم أن الأنبياء والرسل جميعا بعثوا بمعتقدات واحدة، وكانوا جميعا يركزون بوحي من الله عز وجل على دين واحد؟ الجواب معروف بما ينص عليه كتاب الله القرءان، وما يقرره العقل .

الدليل من القرءان والسنة : فربنا سبحانه وتعالى يوضح لنا أن ما بعث به موسى وعيسى عليهما السلام كان الإسلام في قوله :" هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا **"شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه"** أية صريحة واضحة أن كل ما أوحي به إلى هؤلاء الرسل والأنبياء معتقد واحد . وفي قوله تعالى :" **أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُون"** والرسول صلى الله عليه وسلم يقول :" مثلي ومثلُ الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنا بيتًا فأحسنه وأجمله إلاَّ موضع لبنة منه بقيت خاليه، وكان الناس يطوفون به ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة ؟ فأنا اللبنة وأنا خاتم المرسلين" .

الدليل العقلي :نحن جميعا نعلم أن أتباع الرسل والأنبياء كلهم مؤمنون بأن هنالك إلهًا يدير هذا الكون .كيف يمكن لعاقل أن يتصور أن هذا الإله يقول لفئة من الناس وفي عصر من العصور أن الله ثالث ثلاثة وما إلى ذلك، ثم يبعث إلى أناس آخرين ويقول لهم لا إن الله واحد لا شريك له ؟ ثم فئة أخرى يقول لهم عزير ابن الله وأفضل خليقة في الكون هم بني إسرائيل ؟ هل يمكن للعقل أن يصدق كل هذا وأن الإله الواحد كل فترة يوحي بعقيدة مختلفة عن الأخرى ؟هذا الإله الذي نؤمن به يستحيل أن يختلف خبره ما بين نبي وأخر في العقائد، والاختلاف وارد بين الرسل في الأحكام والتشريعات حيث كان الرسل والأنبياء السابقين كل واحد يبعث لقومه وكانت الشرائع خاصة بأقوامهم وموقوتة .أما محمد صلى الله عليه وسلم بعث للعالم كله وشريعته واسعة وصالحة لكل عصر ولكل مكان

قسم الإلهيات وجود الله تعالى

بالنسبة لقانون التلازم قلنا أنه إذا أردنا التحقق في مسألة غير مرئية نستعمل قانون التلازم، الله تعالى موجود ما دليل وجوده؟ فإننا نسلك المنهج التالي : لنفترض ما يقوله الملحد أن الله غير موجود، فإن عند أكثر العلماء أن الكون كان معدوما ثم وجد، قسم منهم يقول أنه وجد عن طريق الانفجار الأعظم، وقسم منهم يقول أنه وجد من غاز بسيط جدا وهو السديم ثم تعقد هذا الغاز مع الزمن الطويل فوجدت المادة، وهذه تطورت فأنتجت الكون . ونقول للملحد الذي يعتقد هذا : لو كان معتقدك هذا صحيحا لا استلزم معتقدك هذا رجحان شيء على غيره بدون مرجح، وهذا مستحيل عند العلماء جميعا يعني أن كلام الملحد عن عدم وجود الكون أنه كانت كفة العدم هي الراجحة ونحن نقول بقاء ما كان على ما كان ولا يمكن للعدم أن يتحول بحد ذاته بدون مؤثر خارجي لأن القانون يقول " **رجحان شيء على غيره بدون مرجح مستحيل** " إذا كلامك غير صحيح أيها الملحد . ودليل ذلك في قوله تعالى :" **أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون أم خلقوا السموات والأرض بل هم لا يوقنون** "

. ويقول أخر أن الكون قديم والكون كله هو سلسلة من الموجات كل موجة تؤثر فيما بعدها وبما قبلها، أي العالم لم يكن معدوما ثم وجد بل هو منذ الأزل موجود وهذا معتقد الماركسيين وهم الذين يعتقدون بالمادية الجدلية . ونقول هنا دعوى هذه المكونات مستمرة بدون أول لها وأن كل دفقه من الوجود تؤثر لما بعدها وتتأثر بما قبلها وهذا يستلزم ما يسميه العلماء " **تسلسل العلل غير الذاتية إلى ما لا نهاية وهذا أمر مستحيل**" يعني أن العالم هو سلسلة حوادث مؤثرة فيما بينها ، نقول لمن يقول هذا تسلسل العلل مستحيل بهذا الشكل إلا إذا كان لها أول ولا أحد يؤمن أن مجموعة أصفار تحمل قيمة، لأن كل صفر من هذه الأصفار لا يحمل بداخله قوة . والكون هكذا حيث أن هذه الموجة من الموجودات أخذة القوة من التي قبلها ولو فصلتها تصبح ميتة لا شيء مثل تلك الأصفار . مثل الطوابق المعتمدة على كتلة ذاتية وهي الأساس .

❖ **مقدمة سادسة : برهان بطلان الدور وقانون العلة الغائية**

ـ الملحد الأن هرب من مسألة أن العالم وجد لذاته بدون موجد وبطل هذا من خلال قانون " **رجحان شيء على غيره بدون مرجح مستحيل**" وهرب أيضا من قوله أن العالم هو مجموعة مخلوقات يتوالد بعضها من بعض إلى ما لا نهاية، هرب لما قلنا له أن هذا يستدعي تسلسل علل وأسباب ضعيفة وغير ذاتية إلى ما لا نهاية هذا مستحيل. ـ ويقول أن هذا الكون وجد عن طريق التفاعل الذاتي ويقول أن الكون كان معدوم ولكن لما وجد وجِد عن طريق التفاعل الذاتي ويقول أنه وجد غاز بسيط اسمه السديم الذي بدأ يتفاعل مع ذاته مع الزمن تعقد هذا السديم وتكونت العناصر الأولية منه للحياة من كربون وهيدروجين وغيره وبهذا التفاعل وجدت الكائنات والحياة . نقول لهذا الإنسان أن الشيء الذي يتفاعل تفاعلا ذاتيا هو الموجود، والمعدوم لا يتفاعل مع ذاته . ونقول له كيف انطلق التفاعل الذاتي من عدم تقول السديم نقول لك هذا اسمه دور وهذا مستحيل، استحالة التسلسل والرجحان بدون مرجح . **" والدور هو أن يتوقف الشيء على نفسه ليوجد، أي علة ومعلول بآن واحد** " وهذا ما لا يقبله العقل

والدور هو توقف شيء على شيء أخر أي رقم واحد مع اثنان واثنين يتوقف على واحد وبتالي لن يتواجد أي واحد منهم . **مثل** دخول اثنان إلى قاعة وكل واحد يقول للأخر أدخل أنت الأول، وإذا استمرالأمر هكذا لن يدخل أي واحد منهم . نقول التفاعل الذاتي مرحبا به في الموجودات وليس في العدم .

ـ القرءان كثيرا ما يحدثنا بما يسمى بالعلة الغائية المبثوث في الكون لوجود الله تعالى .

معنى العلة الغائية هو القصد الذي في ذهنك ويدفعك إلى عمل معين، نتيجة هذا العمل أن هذا القصد يصبح حقيقة في الخارج، مثلا فلان من الناس قصد أن يصبح طبيبا دفعه هذا القصد على الالتحاق بكلية الطب ويجتهد ويدرس مناهج كلية الطب بعد حين أصبح القصد حقيقة .أما **العلة المادية** تقع بين مادة ومادة مثلا النار علة للإحراق، الطعام علة لشبع وهكذا .

وعن العلة الغائية التي هي من أكبر الأدلة على وجود الله تعالى حيث عند تجولك في أنحاء المعمورة ترى ألاف الصور كانت موجودة بالأذهان وبالعمل والاجتهاد أصبحت المقاصد حقيقة وواقع .وما نراه من أثار تدل على أحلام كانت في الأذهان ثم تحققت إلى واقع وما نجده في المتاحف هي ثمرات قصد مثل الأهرامات وما بداخلها .وهذا ما يركز عليه بيان الله تعالى :" **وفي أنفسكم أفلا**

تبصرون " كل قطعة في كيانك هي من أجل هدف من عين ودوق وشم وأذن . وأنظر إلى حليب الأم كيف تزداد قيمته الغذائية حسب نمو الطفل . وهكذا تأمل الكون وما فيه من سموات وأرض وأفلاك وغيرها .كلها مبنية من قصد بل نقول من تدبير مدبر حكيم سبحانه وتعالى . ونجد هذا في قوله تعالى :" وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ * وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ * لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ" هذه كلها تتحدث عن العلة الغائية، أي الظواهر الكونية هي ثمرات لتدبير مدبر حكيم سبحانه وتعالى . وكتاب الله مليء بالحديث عن هذه الظواهر الكونية .ورتب الله تعالى هذا من أجلك أيها الإنسان وقادر أن يخلق بدون هذا الترابط .

(الدرس 1) هو إعادة لدرس **" وجود الله تعالى "**

(الدرس 2) **موقف الملاحدة من العلة الغائية وكيف يفرون منه** :

إن كل ما تراه عيناك له هدف محدد من أجله خلق وهذا بتدبير صانع، والملحد عند مناقشته هذا الموضوع فإنه يفر من زاوية إلى زاوية أخرى، وينتابهم الدوار، والعصبية لا تجعلهم ينزلون عن كبريائهم، والعناد يمنعهم من الإذعان للحق وقالوا : أنه لا يوجد بالكون شيء اسمه علة غائية، لكنها عقلانية الطبيعة التي خططت وأوجدت هذه الأمور التي يحار الإنسان في تنسيقها الهادف . ولا أحد عاقل يصدق هذا الكلام أن الطبيعة تعقل وتصنع، وهي التي تجعل النواة تنفلق بقسمين، ثم إن شيء من داخل النواة يصبح ذا اتجاهين اتجاه ينخر إلى الأرض، واتجاه يعلو إلى سطح الأرض، والذي ينخر الأرض مستعد أن ينخر الصخر وهو شعيرات، والذي يعلو السطح يعطيك النبات والثمار .

جاء من قال لا ليس هكذا أي لا نقول عقلانية الطبيعة، إنما الأمر مصادفة، وتمت كما يلي : مند ملايين السنوات وهذه الأرض وما عليها يتقلب من حال إلى حال، وفي إحدى هذه التقلبات يمكن أن نجد هذا التناسق الهادف، ومن ثم يخيل إليك أن هناك من نسقه من أجل غاية، وإن هو إلا التقلب . نجد "بوكنيس" المادي الماركسي العنيد في إلحاده يقول :" الصدفة تعمل كل شيء

والعالم كله مرتب ترتيب هادف ومر بأطوار ويأتي بمثال وهو : صندوق مليء بحروف الطباعة ونثرها على قطعة قماش بيضاء، وجاء طفل يعبث بهذه الحروف، ويمكنه صدفة أن يركب كلمة مفيدة من ثلاثة حروف مثلا أحمد، وباستمرار عبثه قد يكون جملة مفيدة مثل أحمد على السطح، وإذا استمر هذا العبث قد نجد أنفسنا أمام كتاب أو ملحمة ". إنه الغباء والغفلة، نقول له إن هذا الطفل إن استمر في عبثه فإن الجملة التي ركبها عادت فتفككت مرة أخرى .

نقول أن هذا العالم لا يمكن أن يصاغ هذه الصياغة الهادفة بصدفة وتستمر هذه الصدفة مستحيل هذا لأنك إذا نظرت إلى السموات والأرض وما عليها وفي البحار والجبال، وفي عالم النباتات والحيوانات، وأخذت تبحث وتبحث عن شيء لم يستبين معنى الحكمة منه أي العلة الغائية، ففرحت لما تبين لك من مثال واحد، هل هذا يدعوك إلى نكران العلة الغائية من الأشياء الأخرى . حكم عقلك يتبين لك الحق ،والملحد في دوامة دائمة لن يخرج منها أبدا ماداما مصرا على إلحاده .

وعلينا أن ندرك ونعتقد أن المولى تبارك وتعالى قادر أن يوجد أشياء بدون مسبباتها، لكن اللطف الرباني جعله يرتب الأشياء مع بعضها من أجلك أنت يا ابن آدم، ومن خلال هذا الربط تصل إلى الغاية ومن ثم علمك بوجود من خطط لهذا، وهو الرب سبحانه وتعالى .

(الدرس 3)

نقف هنا في شبهة أخيرة وهي مما يقوله الماديون الشيوعيون الماركسيون من أن المادة هي أساس الموجودات كلها ،الروح العقل والفكر هذه الأمور هي من ثمرات المادة . وهنا لنسلك سبيل العلم مع الإصغاء إلى كل الشبهات باحترام من منطلق كلام الله عز وجل الذي خاطب به رسوله :" **قل من يرزقكم من السماوات والأرض قل الله وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين**"أي عليك أن تحاور الأخر وتناقشه ربما نحن على ظلال وهو على حق **أو** العكس .إذا نقول لهؤلاء لنفرض قولكم صحيح أن المادة أساس الموجودات، وأنتم درستم المادة بكل جزئياتها، إذا ينبغي أن تكون معرفتكم لأصل الحياة وهي الروح أسهل، لأن الذي علم الأصل بكل دقة لا بد أن يعلم الفرع بطريقة أسهل . فهل علمتم ما هي الحياة وما هي الروح ؟؟؟ الجواب منهم لا، حيث نقرأ كلاما لأحد من أئمتهم وهو إنجلس يقول :" إن العلم الطبيعي لم ينجح بعد في إنتاج الهيولة البسيطة أي الخلية الواحدة، والأجسام الأحينية الأخرى من العناصر الكيميائية، وبتالي فإنه ليس في مكنة العلم

الطبيعي حتى الوقت الراهن أن يؤكد شيء بخصوص أصل الحياة " إذا كيف يصح لهم أن يقولوا أن الحياة ثمرة من ثمرات المادة، ويقولون أن الحركة تتولد منها الحرارة، والحرارة تتولد منها الحياة . وعناصر الحياة كثيرة وجمعها لا يعني أصل الشيء وجوهره . لنفرض أن انجلس علمه قديم، والعلم الحديث اكتشف ربما أصل الحياة، نقول أنه عقد مؤتمر في نيويورك في عام ستين لمدة أسبوع واجتمع فيه كل علماء الحياة الحيوانية، وفي مقدمتهم علماء من الإتحاد السوفيتي آنذاك ورئيس الوفد " ألكسندر أُباريم " موضوع المؤتمر " مدى إمكانية إيجاد الحياة ولو خلية واحدة عن طريق التفاعل الكيميائي " انتهى المؤتمر وأجمع المؤتمرون كلهم وفي مقدمتهم "ألكسندر أُباريم " على أن العلم لا علاقة له بالحياة، ولا يستطيع العلم أن يخوض في مسألة الروح والحياة أبدا . وإلى اليوم لم يستطع العلم الغربي أن ينسخ ما قيل آنذاك . وباسم العلم نقول أن قولكم أن أصل الموجودات هي المادة مشطوب عليه . ونجد أنفسنا أمام قوله تعالى :" **ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أتيتم من العلم إلا قليلا** " إلى نهاية الحياة ومهما تقدم العلم لا ولن يصل إلى معرفة جوهر الروح والحياة .

إن انعكاس الروح على الدماغ يولد الوعي، وإذا انعكس على العضلة القلبية تكونت العواطف الدافعة وهي الحب والرادعة وهي الخوف والممجدة وهي التعظيم والانبهار، وإذا انعكست إلى نسيج الخلايا وجد الشعور أي الإحساس . إذا الروح في الجسد لها ثلاث وظائف . إذا العقل والعاطفة والإحساس من وظائف الروح التي ليست لها علاقة بالمادة، والروح من الله تعالى لقوله :" **فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين** " وهذا تشريف وتحدي من العلي القدير . وهذا دليل أخر على وجود الله تعالى .

وحاول الملاحدة الخروج من هذا المأزق حيث قالوا لا الوعي ينبثق من حجيرات الدماغ قائلين أن الدماغ مادة عالية التنظيم، وهي كلمة تستدعي منظم، هنا لسانهم كذب إلحادهم وفجورهم . وقالوا إذا الوعي ابن المادة . فقلنا لهم : أنتم تقولون من مبادئ إلحادكم : أن كمية الشيء مهما كثرت، انبثقت منها كيفية جديدة، مقتضى هذا الكلام أن الدماغ كلما كبر ازداد الوعي . وهنا نقول النملة الصغيرة وزن دماغها أقل من اثنان من المائة من الغرام، وزن دماغ حوت ضخم بالبحر من أربعة إلى خمسة كيلو غرام، هل هنا نستطيع أن نقول أن وعي هذا الحوت البحري يساوي وعي النمل مضروب في مائة مليون مرة .والإنسان لا يصل وزن دماغه إلى الكيلو إذن وعي الحوت أكبر . والأمر ليس كذلك حيث أن الدماغ جهاز استقبال، والوعي يأتي من الروح التي هي من عند الله

سبحانه وتعالى . وهكذا أغلقنا كل أبواب والمنافذ التي تأتي منها الشكوك المتعلقة بوجود الله تعالى . والمؤمن يدرك عبوديته لله الذي يدير هذا الكون الدقيق العجيب .

ودراستنا للعقيدة لتعميق وعينا بهويتنا، وأننا خلقنا لمهمة علينا أداءها .

2. صفات الله تعالى

ربنا سبحانه وتعالى متصف بكل صفات الكمال، ومنزه عن كل صفات النقصان . وعلماؤنا جمعوا صفات الكمال في طائفة سميت أمهات الصفات لله تعالى، وتحت كل صفة تندرج صفات . وهي عشرين صفة، وقد رتبها علماء العقيدة إلى الأقسام التالية ,

صفة نفسية وهي واحدة ـ صفات سلبية وهي خمسة ـ صفات معاني وهي سبعة ـ صفات معنوية وهي سبعة .

1. **الصفة النفسية وهي الوجود** : أي وجود الله ليس أكثر من ذاته، وقد تحدثنا عن وجود الله تعالى وهي الصفة النفسية . والعلماء عرفوا الوجود" أنه كينونة الشيء في حدود الزمان والمكان هو الوجود" ولكن لا نستطيع أن نعرف وجود الله بهذا التعريف، لأن البارئ عز وجل لا يحده مكان أو زمان معين .

والجود في الكون ينقسم إلى وجودين وهما وجود أصلي ووجود تبعي أو نقول وجود كامل ووجود ناقص أو ذاتي وظلي . والوجود الكامل هو الشيء الذي كان وجوده من ذاته، وليس بإيجاد غيره له، وينطبق هذا على واحد وهو الله تعالى .

والوجود الناقص هو ذاك الذي يكون وجوده بين عدمين، عدم سابق وعدم لاحق، أي كل ما عدى الله تعالى هو مسبوق بعدم ، وفي المستقبل أيضا يصبح معدوما .

هناك شبهة تحوم في عقول البعض أن من وجوده مستمر مند القدم لا أول له، أنه لا يستطيع تخيل ذلك، نقول له نحن أيضا خيالنا لا يستطيع أن يتصور ويهضم هذا الشيء، لكن نقول أن الخيال شيء وإدراك العقل شيء أخر، حيث أن إدراك العقل أن وجود الله تعالى الخالق لهذا الكون أنه ليس لوجوده أول، فإن العقل يدرك ذلك.

وخزانة الخيال لا يمكن أن تدرك ذلك لأن فيها إلا ما قد سبق أن رأيته أو سمعته أو شممته، مثال ذلك الذي ولد أعمى يدرك أن هناك ضوء ولكن لا يمكنه تخيله .

(الدرس4)

2. **الصفات السلبية** : سميت بالسلبية لأن تعريفك لها يكون بالسلب ما يتنزه الله عز وجل عنه .

1. الوحدانية : معنى أن الله عز وجل واحد، أنه ليس عددا من الآلهة يتعاونون مع بعضهم ويقومون بمهام الألوهية ما عدى الله.

المعنى الثاني أن الله عز وجل ليس مركبا من أجزاء، ولا هو مؤلف من أعداد . وكلمة " قل هو الله أحد " تعني هذين المعنيين . الدليل من كتاب الله عز وجل في قوله " **قل هو الله أحد** " " **فاعلم أنه لا إله إلا الله** "

الدليل العقلي ذكر في القرءان، من الناحية العقلية المنطقية، لنفترض أن الإله الذي يدير هذا الكون هو مجموعة آلهة، ويترتب على هذا الافتراض احتمالان اثنان وكلاهما يتنافى مع الربوبية والألوهية . الاحتمال الأول أن يختلف الإلهان إن كانا اثنان أو ثلاثة في الخلق والإعدام والتطوير، إن تغلب أحدهما على الأخر فالمتغلب هو الإله، وإن افترضت أن كل منهما قد تغلب وقدرتهما واحدة وهنا يتمزق بين الخلق وعدم الخلق أي فساد، وهذا غير ممكن حيث أن الكون ليس فيه هذا الفساد .ونجد هذا في قوله تعالى :" **لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا** "

قد يقول قائل ربما اتفقا، ليكن مخلوق ما إن خلق فالأول هو الذي خلقه ولا يتأتى لثاني إيجاده مرة أخرى، وإذا قال تعاونا نقول غير ممكن لأن توارد علة على معلول واحد باطل مثلا إن أغلق الباب فإنه لا يغلق مرة أخرى .و إذا قلنا تعاونا في مخلوق واحد عندها كل واحد ناقص لوحده مستكمل بغيره، وهذا غير ممكن وعندها كلاهما ليس بإله .إذن لابد لهذا الكون من مكون ويستحيل أن يكون مجموعة وهو واحد وأحد أي غير مكون من أجزاء، لأن الأشياء التي تتكون من أجزاء فإن كل جزء يعتمد على الجزء الأخر، والبارئ عز وجل منزه عن هذا .

"ولم يكن له كفؤا أحد " أي ليس كمثله شيء . وكل ما خطر في بالك فالله بخلاف ذلك .

2. صفة القدم : الله عز وجل قديم، والمعنى اللغوي الحقيقي لكلمة قديم أي الشيء الذي لا أول له، وهذا ينطبق إلا على مولانا ربنا سبحانه وتعالى هو القديم الذي لا أول له . والدليل من ربنا واصفا ذاته العلية في قوله عز وجل :" **هو الأول والآخر والظاهر والباطن** "و الأول على وزن الأفعل أي ليس قبله شيء . وهذا الكلام يفسره لنا رسول الله صلى الله عليه

وسلم في قوله :" كان الله وليس قبله شيء " وفي رواية " كان الله وليس معه شيء " لنفرض أن الله له أول في فترة من الزمن مهما بعدت، وكان قبل ذلك معدوما، إذن لابد أن هنالك من أوجده، إذن هو ليس إلها، بل الذي أوجده هو الإله . وإن افترضت أن السلسلة كانت أن كل واحد له بداية وأنه أوجده أخر، عندها وقعنا في تسلسل العلل الضعيفة إلى ما لانهاية وهذا مستحيل إلا إذا اعتمدت على موجود وجوده من ذاته . يأتي الملحد ويقول عقلي لا يتصور أن هناك شيء لم يكن معدوما فوجد كل شيء كان معدوما، نقول له أنت تقيس الغائب بالشاهد . حيث مند أن خلقت ووجدت عيناك لا تريك إلا ما كان معدوما ثم وجد، وخيالك يختزن الموجودات التي كانت معدومة، وعندها الخيال يعجز عن تصور وجود لا أول له أي الأزل، لكن العقل يدرك أن وجود الله كان من ذاته وإلا لما كان إلها .

3. صفة البقاء : هو ما لا نهاية لوجوده ولا ينطبق ذلك إلا على ذات الله سبحانه وتعالى، وكل ما جاز عليه العدم يستحيل عليه القدم . والوجود الذاتي لله تعالى يستلزم انعدام الزوال، وهذا أيضا أخيلتنا لا يمكنها استيعابه، والعقل يمكنه استيعاب ذلك، ويقول لك لا يمكن أن يكون الإله إلا أن يكون وجوده من ذاته ووجوده لا أول له ومن ثم فوجوده لا نهاية له . والدليل النقلِ على هذا قول الله عز وجل ," هو الأول والأخر " .

كل شيء أمامك له ظاهر يتحرك ويتغير وجوهر لا ندركه يجعله ساكن لا يختلط مع الأخر محافظا على ذاته. هذا لا ندركه فما بالك بذات الله سبحانه وتعالى وقدمه وبقائه .

(الدرس 5)

4. القيام بذات أي أنه لا يحتاج إلى أحد قط، وهو لا يحتاج إلى من يوجده أو إلى زمان معين يحيط به أو إلى مكان يتحيز فيه، ولا يجوع فيحتاج إلى طعام، ولا يظمأ فيحتاج إلى شراب ولا ينعس فيحتاج إلى رقاد . ولا يتعب فيحتاج إلى راحة ... فهو لا يحتاج إلى شيء .والدليل على اتصاف الله تعالى بهذه الصفات وهي

العقلي: فإنه واضح، فهو إلها لا يحتاج إلى من يوجده من عدم وإنما هو موجد لذاته . والله تعالى خالق لزمان والمكان فهما محتجان إلى خالقهما لهذا يستحيل أن يحتاج الخالق إلى مخلوقه . وفيما يرويه البخاري عن رسول الله أنه قال :" **كان الله عز وجل وليس معه شيء** " الله تعالى

خالق الطعام والماء وهو الذي جعل الليل سباتا والنهار معاشا وهو لا يحتاج إلى ما خلق .وكل شيء يحتاج إلى الله .

الدليل النقلِ: لهذا في قوله تعالى :" **الله الصمد** " كلمة عجيبة جمعت و أوعت هذا المعنى أي الله لا يحتاج إلى شيء بل يحتاج إليه كل شيء . والمستنجد بخياله في هذه الأمور فالخيال لا يمكنه تصور هذه الأمور، وبينما الإدراك العقلي يؤمن بذلك . ومثال الطفل الأكمه أي الأعمى خير دليل على ذلك .

5. مخالفته للحوادث : والحادث هو كل ما سوى الله، وهو لا يشبه أحدا من مخلوقاته، ولا يشبهه مخلوق ما من مخلوقاته . والدليل على ذلك أن الله سبحانه وتعالى لو اتصف بصفات مخلوقاته لكان حادثا، لأن صفاتنا صفات مخلوقية، والبارئ خالق، وشتان بين صفات الخالق والمخلوق .

أما الدليل النقلِ وهو في قوله تعالى :" **ليس كمثله شيء** " وقوله :" **ولم يكن له كفؤا أحد** "

قد يفتح لنا هنا باب إشكال بسيط وهو أنه من صفات الله العلم ومن الناس من يتصف بصفة العلم ونقول فلان عالم، ومن صفات البارئ القدرة، وهي صفة يتصف بها كثير من الناس والحيوانات أيضا . والبارئ عز وجل ينسب إلى ذاته اليد في قوله :" **بل يداه مبسوطتان** " وهي كلمة تدل على جامع مشترك بيننا وبينه، والبارئ ينسب إلى ذاته العين في قوله :" **ولتصنع على عيني** " . كيف يجتمع هذا مع قولنا أن الله مخالفا للحوادث . والجواب الإجمالي على هذا أن صفات الله عز وجل والتي هي صفات الربوبية هي صفات ذاتية أي لم يكتسبها من غيره . صفة العلم ذاتية لم يكتسبه بالتعلم من غيره، صفة القدرة لم تمتد إليه من قوي، وهكذا جميع صفات الكمال لديه ذاتية . أما الصفات التي نشترك مع الله في أسمائها مثل العلم القدرة السمع البصر الإرادة فلا نتمتع بها بشكل ذاتي بل هي عوارض جاءتنا من الله عز وجل . ونجد هذا في قوله عن العلم مثلا :" **ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء** " وهكذا نقول عن القوة التي أتت إلي بمدد من الله عز وجل، وهكذا عن جميع الصفات . " **وهو قيوم السموات والأرض** " أي القائم بشؤون السموات والأرض لحظة فلحظة فلحظَة. وبالنسبة إلى التشابه في الأعضاء إنه في الأسماء وليس المسميات وتفصيل ذلك يأتي فيما بعد.

(الدرس 6)

3. **صفات المعاني** : هي كل صفة قائمة بذات الله تعالى يستلزم ثبوتها حكما معينا مثل صفة العلم وهي قائمة بذات الله تعالى يستلزم ثبوتها حكما وهو أن الله عز وجل عليم، الإرادة من صفات الله حكمها أن الله مريدا . وتحت هذه الصفات السبعة صفات كثيرة مجملة فيها .

1. صفة العلم : وهي صفة أزلية قائمة بذات الله تعالى يتأتى بها كشف الأمور الكونية والإحاطة بها على ما هي عليه في الواقع أو على ما ستكون عليه في المستقبل . أزلية بمعنى أنها قديمة قدم الله عز وجل دون اكتسابه لها بعد العدم .وندرك هذا من دواتنا حيث عندما يهب الله أحدنا علما ما يكون هذا بمثابة مصباح يرينا الطريق أي إدراكنا للحقائق كما هي . من خلال تعريف علم الله يتبين لنا أنها صفة كاشفة وليست صفة مؤثرة . أذات كشف الأمور هي العلم . ودليل من القرءان ورد في آيات كثيرة مثلا في قوله تعالى :" **إن الله بكل شيء عليم** "وقوله " ولا **يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء** " . ومعنى كاشفة أن علم الله تعالى لم يفرض على أحد الطريق الذي اختاره لنفسه، وإنما كشف الطريق الذي اخترته .ومن الصفات التي تندرج تحت صفة العلم الحكمة أي وضع الأشياء مواضعها .

2. صفة الإرادة وهي صفة ثابتة لله عز وجل تستلزم حكما وهي أن الله عز وجل مريد، ومعناها أنها صفة أزلية قائمة بذاته تعالى من شأنها تخصيص الممكنات الكونية لبعض ما يجوز عليها من إعدام من إيجاد من تطوير، هذه هي وظيفة صفة الإرادة أي قرار الله تعالى. والدليل على أن الله تعالى مريد من آيات كثيرة مثلا في قوله تعالى :" **وإذا أراد الله بقوم سوءً فلا مرد له وما لهم من دونه من وال** " وقوله :" **وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا** " إن إرادة الله في الإيجاد والعدم وغيرها هي صفة صلوحية، وإذا تعلقت هذه الصفة بجزئية من الجزئيات مثلا خلق طفل أو موته، زلزال ... نقول هنا صفة تنجيزية . كما نقول نظري و تطبيقي .

3. صفة القدرة :الله تعالى يتصف بالقدرة، وينبثق من هذه الصفة حكم وهو أن الله قدير، ومعناها أنها صفة أزلية قائمة بذاته تعالى يتأتى بها إيجاد كل ممكن وإعدامه و تطويره . إذن القدرة تتجه إلى التنفيذ، أما الإرادة تتجه إلى القرار .نجد هذا دليله في قوله تعالى :" **إن الله على كل شيء قدير**"

من سخافات الملا حدة قولهم مادام الله قادر هل بإمكانه خلق إله مثله، أو خلق صخرة كبيرة جدا جداً ليس بإمكانه حملها... فكر بعيد عن العلم الحقيقي الذي يتصف به المؤمن حقا بالله تعالى .

4. صفة السمع : هي صفة ثابتة لله عز وجل، والحكم هو أن الله سميع، وتعريفها أنها صفة أزلية قائمة بذات الله تعالى تتعلق بالمسموعات، وسمعه تعالى بدون واسطة أي ليس بوسيلة كا التي متعنا بها الله سبحانه وتعالى . وهو الذي نسب لذاته العلية صفة السمع في قوله :" وهو السميع البصير .

5. صفة البصر : نسب المولى تعالى إلى نفسه صفة البصر وهي صفة أزلية قائمة بذات الله تعالى تتعلق بالمبصرات لكل الموجودات . وكثيرا ما نقول في دعائنا " اللهم إنك ترى مكاننا وتسمع كلامنا وتعلم سرنا وعلانيتنا " صفات ثلاث وهي البصر والسمع والعلم " وما أحلى أن نطرق باب الله تعالى من صفاته العلية.وأنت أيها الإنسان بالله تسمع وترى وتعلم وليس مع الله، الاشتراك في الألفاظ وليس في المعنى .

6. صفة الكلام : نسب المولى إلى ذاته صفة الكلام، وهذا يستلزم منه حكم أنه متكلم . ودليل في قوله تعالى : " وكلم الله موسى تكليما " وقوله " **وإن أحدا من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله فأبلغه مأمنه**"

والكلام له تعريفان اثنان في اللغة العربية . الأول : هي الألفاظ المعبرة عن معنى قائم بدهنك تتكلم به بنبرة صوتية يسمعه غيرك .الثاني معنى قائم بدهنك ما نطقت به بعد لكنك تهيأته بدهنك .وهذا أيضا يسمى كلام .سيدنا عمر وقف يوما أمام الناس فقال :" لقد صورت في نفسي كلاما فأحببت أن أقوله لكم " وهنا نتساءل هل المعنى الأول هو القائم بذات الله أم الثاني ؟ هذا ما وقع فيه جدال كبير بين المعتزلة وأهل السنة والجماعة تسبب في محنة كبيرة تحملها الإمام أحمد رحمه الله تعالى وعلماء آخرين .

(الدرس 7)

عن صفة الكلام هنا نتساءل ماذا نعني بهذه الصفة التي أثبتها الله عز وجل في ذاته العلية عندما قال :" **وكلم الله موسى تكليما** " الجواب أن المراد هنا الكلام النفسي، أي المعاني التي نتبينها ونحن نقرأ كلام الله سبحانه وتعالى في القرءان أو الكتب السماوية السابقة .أما الألفاظ فا بالاتفاق فهي مخلوقة ، أي التي نطق بها سيدنا جبريل لرسول الله صلى الله عليه وسلم خلقها الله عز وجل، وعندما تقرأها تُخلق، أما المعاني فهي قديمة أزلية قائمة بذات الله تعالى .

قصة الخلاف بين المعتزلة وجمهور المسلمين : كل من المعتزلة وجمهور المسلمين متفقون على أن ألفاظ القرءان مخلوقة، والخلاف بينهم يكمن أن جمهور المسلمين قالوا أن لله عز وجل من وراء هذه الألفاظ صفة اسمها الكلام النفسي قائمة بذاته تعالى قديمة، وهي جملة المعاني التي يخاطبنا بها الله عز وجل آنا تكون أوامر وأنا نواهي وقد تكون إخبارات يخبرنا الله عز وجل عنها .وهو بهذا آمر ناهي مخبر ومعلن . المعتزلة قالت أن هذا الذي تابت عن الله عز وجل لا نشك فيه، ويقولون هذا لا نسميه كلاما، إن كانت أوامر أو نواهي يخاطبنا بها الله تعالى فهي داخلة في صفة الإرادة، أي يريد الله منا أن نصلي ونصوم ولا نرتكب الفواحش ...أما خطاب الله عز وجل فيما يتضمن أخبارا عن الماضي السحيق أو أخبارا عن المستقبل تقول المعتزلة هذا نسميه علما .إذا الخلاف يكمن في التعبير وليس في المضمون .نتساءل إذا كان الأمر كذلك لماذا اهتاجت الدنيا بينهم فيما إذا كان كلام الله مخلوق أم غير مخلوق ؟الجواب عن هذا أن الإمام أحمد رحمه الله تعالى كان معروفا عن شدة ورعه لم يكن يفرق حيث كان يقول كلام الله تعالى صفة من صفاته التي هي قديمة قدم ذاته .وسألوه أتعني بالكلام اللفظ أم المعنى ؟ ما كان يفرق قائلا أنا لا أدخل في هذا التفريق وهكذا كان أصحاب رسول الله .ويقولون افعل كما فعل الشافعي وضع يدك على كتاب الله وقل هذا مخلوق . يقول لهم " لا ،إن من يأتي من بعدي لا يعلم ما قصدت ويقولون كلام الله مخلوق فلا أتحمل أغلاطهم بل أقول كلام الله قديم وانتهى الإشكال .ولهذا تحمل ما تحمله من المحنة .

نقول أن أوامر الله ونواهيه وإخبارا ته قديمة وجهها إلينا متى شاء .

7. صفة الحياة تركت هذه الصفة الأخيرة لعدم تمكن أحد من تعريفها تعريفا منطقيا من حيث الجنس والمعنى لجهلنا إلى المعنى الحقيقي للحياة . نقول هذا الكائن يتمتع بالحياة بعد حين زالت عنه تلك الحياة نقول عنه مات .ونعرف الحياة أنها صفة أزلية قائمة بذاته تعالى يتأتى بها الصفات السابقة من علم وإرادة وقدرة وسمع وبصر وكلام، إذن هي صفة كامنة في داخلك بها تكون عليما مريدا قادرا سميعا وبصيرا ومتكلما، وجوهر الحياة لا نعلمه لكن هذه هي وظائفها .وعن دليلها من القرءان قوله تعالى :" **الله لا إله إلا هو الحي القيوم** " **هذه** الصفات السبع أمهات لصفات الكمال ،أي تحت كل منها صفات كثيرة ثابتة لله تعالى مثل القيوم، لا تأخذه سنة ولا نوم . كل الأمور التي نتصور وجودها تنقسم إلى ثلاثة أقسام ممكن واجب ومستحيل .

الممكن هو ما لا يحيل العقل وجوده ولا عدمه أي يجيز العقل وجوده وعدمه وهي كل المخلوقات.

الواجب هو ما يحيل العقل عدمه وهو الله سبحانه وتعالى .

المستحيل أي ما يحيل العقل وجوده مثلا أن أكون في هذه اللحظة موجود ومعدوم، أو إدخال جرم كبير في الصغير مع بقائهما كما هم، كلها أمور مستحيلة .

نتساءل هذه الصفات بما تتعلق ؟ :

- صفتا العلم والكلام تتعلقان بالممكن والواجب والمستحيل، علم الله تعالى يتعلق بالممكنات حيث أنه عليم بالمكونات التي كونها وعليم بذاته العلية، وعليم بالمستحيلات وتحدث عنها في قوله تعالى :" **لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا** " علم الله يتعلق بكل شيء كبر أو صَغر .

- صفتا الإرادة والقدرة لا تتعلقان إلا بالممكن، قد نقع في إشكال عند قراءتنا للآية الكريمة في قوله تعالى :" **إن الله على كل شيء قدير** " هنا نطرح إشكال ونقول أن قدرة الله إذن متعلقة بالممكنات والواجب والمستحيلات، لكن علينا أن نفرق بين المستحيل العرفي وقدرة الله تعالى تتعلق بكل هذه المستحيلات العرفية وهو قادر أن يزيل الكون كله وإذ به أثرا بعد عين وفي قوله :" **وإن يشأ يذهبكم ويأتي بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز**" لكن نحن هنا نتحدث عن المستحيل العقلي أي العلمي مثل اجتماع النقيضين كأن أكون موجود وغير موجود في نفس اللحظة وإذا قلنا أن البارئ قادر على جمع النقيضين يصبح الأمر ليس مستحيلا وإنما ممكنا، من هنا نقول أن عدم تعلق إرادة الله بالمستحيل العقلي ليس بعجز وإنما لأن وظيفة قدرة الله وإرادته لا تتعلق إلا بالممكن.

(الدرس 8)

ـ صفتا السمع والبصر تتعلقان بالموجودات كلها .

ـ صفة الحياة وهي لا تتعلق بشيء وإنما بذات الله عز وجل وهو الحي القيوم .

أمور تتعلق بصفات المعاني :

1. تنزه الله عز وجل عن أضداد هذه الصفات : فالله منزه عن الجهل والعجز وعن أضداد السمع والبصر وهو نزه عن أضداد جميع الصفات، فالله عز وجل لا يشبهه شيء أي ليس كمثله شيء، ولا يحده زمان ولا مكان، ليس جسما ليس عرضا وليس جوهرا وليست له أبعاد، وليس كلا مركب من أجزاء ولا كلي مركب من شركة أي أفراد . قد أجد آيات تتعارض حسب الظاهر هذه المعتقدات مثل قوله :" **وجاء ربك والملائكة صفا صفًا** " والمشي حسب تعريفنا نحن انتقال الماشي من مكان إلى أخر، والبارئ منزه عن هذا. ونقرأ قوله تعالى :

" **يد الله فوق أيديهم** " وقلنا أن الله عز وجل مخالف للحوادث . ونقرأ قوله تعالى :

" **ولتصنع على عيني** " ونقرأ قوله تعالى :" **الرحمان على العرش استوى**" وقلنا أن البارئ قائم بذاته لا يحده زمان ولا مكان .

للجواب على الإشكال نقول أن في القرءان الكريم آيات سماها الله تعالى آيات محكمة وهي الواضحة في معانيها الصريحة في دلالتها مثل قوله :" **ليس كمثله شيء**" وآيات متشابهة أي آيات يتشابه فيها أكثر من معنى يتجاذبها أكثر من معنى، وهي بظاهرها تتعارض مع الآيات المحكمة ونجد هذا في قوله تعالى :" **وهو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات** " ما المطلوب ؟ هنا يقول :

" **فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون أمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا ألوا الألباب**" عليكم أن تفسروا المتشابه على ضوء المحكم وليس العكس مثل تفسير آية :" **يد الله فوق أيديهم** " بقوله تعالى :" **لم يكن له كفؤا أحد**" كيف ذلك ؟ لنا طريقتان في جعل المحكم إماما والمتشابه خاضع له وهي: الطريق الأول : هو ما كان عليه السلف وهي تفسير الآية على ظاهرها على أن ليس المراد منها هذه الأعضاء التي نتمتع بها، مثل أن نقول أن له يد تليق بجلاله وبقوله :" **ليس**

كمثله شيء" معنى هذا المنهج أنهم يؤولون هذه الآيات تأويلا إجماليا، ويمسكون عن تأويلها بتفصيل .

الطريق الثاني : هو ما قام به الخلف من القرن الرابع إلى يومنا هذا حيث أبقوا ما كان عليه السلف وأضافوا التفسير التفصيلي، أي اتفقا الجميع بتأويل الإجمالي، وقال الخلف عن قوله تعالى : :" **يد الله فوق أيديهم** " دليل القوة وقوله :"**يداه مبسوطتان** " أي كرم الله تعالى، وقوله :" **سنفرغ لكم أيها الثقلان** " يعني سنقبل إليكم بعد طول امهاد، وقوله :"**كل شيء هالك إلا وجهه** " أي ذات الله تعالى .إذن من خلال ما ذكر يتبين لنا أنهما طريقان لنتيجة واحدة وهي تنزيه الله تعالى عن الشبيه وعدم تعطيل المعنى .وسبب الاختلاف بين السلف والخلف أن السلف ظروفهم لم تستدعي منهم تفصيل في الكلام، لأن عصرهم عصر فطرة إيمانية بعيد عن البلاغة والفلسفة والزندقة ... لكن في عصر الخلف ما ينبغي الإمساك عن التفصيل لوجود زنادقة يمكنهم التشكيك وإدخال الريب في النفوس، وأيضا تدوين علوم اللغة العربية وكثرة الفلسفات ...

هناك من السلف من أول لوجود من يريد التفريق بين العلماء لوجود خلافات بينهم في تفسير والفهم مثل الإمام أحمد من السلف وأَوَّلَ المجيء أنه أمر الله تعالى جاء،حديث البخاري عن قوله:" ضحك ربكما لفعالكما الليلة " عن الزوجان اللذان بقيا جائعان وأولادهما وأطعما ضيوف رسول الله، فسر الضحك بحب ورضا الله تعالى عن فعلهم . أيضا "حماد ابن زيد " من السلف أوَّل قول رسول الله :" ينزل ربنا إلى سماء الدنيا كل ليلة يقول هل من مستغفر فأغفر له ..." المراد بالنزول إقباله جل جلاله بالرحمة على عباده . " ابن تيمية " رحمه الله تعالى سئل عن قوله تعالى :"كل شيء هالك إلا وجهه "له في هذا عدة تأويلات وقال أفضلها عندي أن المراد بالوجه الجهة أي كل شيء هالك إلا ما أريد به وجه الله تعالى فهو مدخر للعبد يوم القيامة . " الضحاك " من خيرة السلف أوَّل قوله تعالى :" ويبقى وجه ربك "أنها الذات الإلهية. " عبد الله ابن عباس " أوَّل الاستواء في قوله تعالى :" على العرش استوى " العلو. إذا علينا أن ننسب لله ما نسبه لذاته وننزهه عن الشبيه والنظير، ونتبع السلف فيما ذهبوا إليه .ما ينبغي أن نجعل من هذه المسألة سببا للفرقة بين المسلمين، ومن فعل ذلك فهو ممن ينفخ في نيران الفتنة سواء علم ذلك أم لم يعلم .

(الدرس 9)

2. الله تعالى منزه عن العلة الغائية في أعماله : كما عرفنا سابقا أن العلة الغائية هي القصد الموجود في فكرك ويحملك على أن تبحث له عن أسبابه فتمارسها حتى يتحول القصد إلى حقيقة ماثلة على الواقع في حياتك. وأما عن صفات الله تعالى لا تعلل بالعلة الغائية وتفصيل ذلك **ودليله ما يلي**: قلنا أن من صفات الله تعالى الإرادة وهي إرادة تامة كاملة، وإذا تصورت نقيض ذلك أي وجود علة غائية في أفعال الله تعالى كإرادته إنبات الأرض ومن تم حاجته إلى الإمطار تعالى الله عن هذا علوا كبيرا،وهو الذي يخلق نبات الأرض بدون مطر إذا شاء، ويستنزل مطر السماء بدون سحب إذا شاء وهو الذي لا يحجزه شيء، ودليل ثاني قلنا أن الله عز وجل يتصف بالقدرة وبموجبها خلق كل شيء وهو خالق الغايات والأسباب ولو قلنا نقيض ذلك لكانت قدرته ناقصة كأن نقول والعياذ بالله أنه قصد من خلقنا عبادتنا له وأنه بحاجة إليها لهذا بخلقه لنا يستكمل وجوده، أو نقول أنه استعان بأعشاب الأرض كي يشفينا ونحو ذلك وتعالى الله عن هذا علوا كبيرا وهو خالق الأسباب والمسببات دون توسط بعضها ببعض. ودليل الثالث نجد قوله تعالى :" ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى " أي ربنا الذي أبدع كل شيء وأعطاه مظهره وصورته ثم حمله وظيفته في هذه الحياة، بعد هذا كيف تنسب لله عز وجل علة غائية وهو خالق الأسباب والمسببات .

في بيان لله تعالى يوهم فيه أن هناك عللا غائية مثلا في قوله تعالى :" **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** " ولام لتعليل حيث ظاهر الكلام يوحي والعياذ بالله كأن الله تعالى أراد أن يستكمل ألوهيته بأن يخلق من يعبده، ومنها قوله تعالى:**"وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا لِّنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا** " نلاحظ لام التعليل التي توهم ذلك أي كأنه لابد من ماء لإحياء بلدة ميتة وغيرها من الآيات . الجواب عن هذا ،أن لام التعليل في هذه الآيات ليست حقيقية كالتي نستعملها .أما التي في القرءان هي لام تعليل جعلية مثلا جعل الله تعالى المطر علة لنبات، والأبخرة علة لسحب، السؤال لم ينتهي لماذا ربط البارئ مخلوق بمخلوق وجعل بينهم لام التعليل ؟ الجواب أن الله عز وجل شاء أن يريك في هذا الكون دلائل الحكمة والنهج السائر بانتظام وبشكل هادف، وترابط بين سلسلة أشياء تؤدي إلى نتيجة لمصلحتك ومصلحة الحياة تدرك أنها بتدبير مدبر والأمر ليس مصادفة .

(الدرس 10)

3. لا يجب على الله عز وجل فيما شرع وفعل ودبر وما نراه من مظاهر الحسن والقبح في الأشياء أمر اعتباري هو سبحانه وتعالى الذي غرس هذه الصفات فيها : معنى هذا الكلام أنه من بديهيات العقيدة أن الله هو خالق كل شيء، وكل شيء له ذات وصفة، ومنها أشياء نصفها بالخيرية والحسن والصلاح والفائدة، وأشياء أخرى نصفها بالعكس، والله تعالى هو الذي خلق في هذه الأشياء هذه الصفات وهي عارضة .والغرض من ذكر هذا هو وجود فرقة المعتزلة التي فتحت عينيها على الفلسفة اليونانية، والعرب كانوا حديثي العهد بالإطلاع عليها، وكان الفتح الإسلامي قد انتشر، وإذا بهم يجدون علما اسمه الفلسفة، والعرب عشقت العلوم كلها بسبب القرءان . والمعتزلة رأسا بدؤوا بتعلم اللغة اليونانية ومنه الفلسفة اليونانية قبل أن يهضموها ويفهموها فهما جيدا تأثروا بها، فداخلتهم أفكار في العقيدة الإسلامية زائغة ومنها قولهم عن كون الأشياء فعلا منها الحسن والقبيح وهي عارضة عليها بسبب العلاقات الاجتماعية وأعراف وبسبب نتائج وأثار، والمعتزلة هنا قالت كذلك هنالك أمور الخيرية نابعة منها ولا تتحول إلى شر وأمور الشر نابع من ذاته ولا يتحول إلى خير والطبع هوخير مثل حسن الصدق وقبح الكذب، وحسن شكر من أنعم عليك ومثل انقاد الغريق . إذا الحسن في هذه الأشياء ليس عارضا وإنما هي حقيقة مرتبطة بذات الشيء، وبتالي قالوا أن أحكام الله تابعة لطبيعة الحسن في هذه الأشياء وصفة القبح في نقائضها فالله لا يمكن أن يأمرك إلا بما هو خير ولا يمكن أن ينهاك إلا بما هو شر. ومنه فإن أحكام الله تابعة على حسب الطبيعة وبتالي طبيعة الحسن في أشياء والقبح في أشياء أخرى تحكم على الله والعياذ بالله تقتضيه أن يأمرهم بأشياء وينهاهم عن أخرى وهذا ظلال كبير جدا كاد أن يوصلهم إلى شرك .وصلحوا الأمر بقولهم يجب من الله وليس على الله وقالوا هذا لأنهم تصوروا أن في أشياء في الكون لا ينفك الحسن عنه أبدا لكونها ذاتية فيها والعكس أيضا .

نقول للمعتزلة عن المسائل التي ذكروها عن حسن الصدق وقبح الكذب، إن البارئ خلق الإنسان مدني بطبعه والمصالح بين العباد متشابكة والمصالح بينهم متكاملة، وبتالي فإن التعاون بحاجة إلى امتداد جسور الثقة التي تأتي بالصدق النابع من العلاقة الاجتماعية وبتالي أصبح الصدق حسن والكذب قبيح وكذلك العدل والظلم الحسن والقبح فيهما نابع من التركيبة

الاجتماعية . عن إنقاذ الغريق قال العلماء هذا عارض أقامه الله بين جوانحك حيث أن دوافع الناس لهذا مختلفة فالمؤمن يرجوا تواب الله، وغير المؤمن بدافع النخوة وشكر الناس له، أو بسبب سبق تصور إلى العكس أي تصور كونه هو الغريق يستنجد بمن ينقده . وعن شكر المنعم فإن الشاكر هو المستفيد والمنعم غني عن شكر الشاكرين له .

والنتيجة التي توصل إليها أهل السنة والجماعة أن الله تعالى هو الحاكم وأن صفات الحسن والقبح في الأشياء إنما هو من صنع الله عز وجل، ثم أمرك بما فيه صلاحك ونهاك عن ما فيه فسادك . والله تعالى يقول :" **وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا** " المعتزلة قالت المراد بالرسول العقل وبه تعلمون الصلاح والفساد سواء جاء الرسل أم لم يأتوا . والمعتزلة بادت بعد أن سادت بعد مناقشتهم و تبينت لهم الحقائق .

(الدرس11)

الله عز وجل خلقنا عبيدا له وطلب منا أن نعترف لعبوديتنا له ونعلن عنها وهذا بطريقتين الصبر والشكر، والصبر يكون عند الشدائد أي عندما يقابلك نوع من أنواع الشر، وتكون شاكرا عند النعم، هما مناخان لإعلان عبوديتنا لله عز وجل، والإنسان يكلف بعد إنزال رسول لتبليغ شرع الله عز وجل، والله هو خالق الخير والشر وصدق الله القائل :" **وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا** ".

4. مصير الإرادة الإنسانية أمام إرادة الله : لا يقع شيء في الكون إلا بإرادة الله عز وجل وإرادته تامة، هنا عن الإنسان انفرض زيد من الناس أراد أن يشرب الخمر فشربها نتساءل هل فعلها بإرادة من الله أم لا ؟ إذا قلنا نعم يعني أن الله يريد المعصية، وإذا قلنا لا يعني هنالك أمور تقع بدون إرادة الله . الجواب عن الإشكال ما يلي : إن الأمور التي تصدر من الإنسان نوعين، نوعا لا اختيار له فيها مثل ولادته موته مرضه عافيته ...هذه وأمثالها تصدر بإرادة الله في حقنا، النوع الثاني أمور تصدر باختياره عبر ملكة الاختيار أو ملكة الارادة، أو سمها ملكة القدرة على اتخاذ القرار مثل استماعنا لهذا الدرس ن، الذهاب إلى المسجد أو الجامعة لدراسة .وغيرها كثير من طاعات ومعاصي ...وهذه هبة عظيمة من الله للإنسان وهذا هو معنى قوله تعالى :" **وهديناه النجدين** " وعن أفعالنا الاختيارية هذه مثل استماعي لهذا الدرس ثَمَّ باختياري وهي ملكة متعني الله عز وجل بها، إذا أراد الله لي أن أكون مختارا . مثال لتوضيح أن سيدا أراد اختبار خادمه فأعطاه مبلغ من المال ليشتري أغراض من السوق وحذره من أمور فذهب الخادم

واشترى أغراضا، وباقي المال وضعه في جيبه، هنا نقول أن السيد أراد لهذا الخادم أن يجعله صاحب اختيار وحذره في الوقت ذاته فاستخدم هذا الخادم الحرية التي متع بها بالخيانة دون أن يدفعه سيده إلى هذا دفعا.هذا مثال تماما لعصيان العاصي . والفرق أن البارئ عندما يبتلينا يعلم من يختار الخير ومن يختار الشر . والله تعالى يثيبنا على العمل الذي هو نتيجة القصد . هذا يدفعنا إلى القول أن كل شيء وقع في الكون يكون بمشيئة الله عز وجل فكفر الكافر وإيمان المؤمن بإرادة من الله حيث وضع كل منهما في اختيار طريقين إما الخير أو الشر . أما الرضا فهو غير الإرادة لقوله تعالى :"**ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضاه لكم** " فالله عز وجل رضاه متجه بالتزامك لأوامره وابتعادك عن نواهيه، أما إرادته متعلقة بكل ما يجري في الكون، أما عن الأمور التي لاختيار لنا فيها كلها تجري بإرادة الله، وأما الأمور التي خيرنا الله فيها فهي داخلة في إرادة الله لأنه هو الذي أراد أن نكون مختارين . أما الرضا والحب يكونان فيما أمر الله عز وجل . مثال عن الفرق بين الإرادة والرضا : زيد من الناس تبين له بعض إجراء فحوصات أنه لابد له من عملية جراحية، فحجز بالمشفى لإجرائها هنا نقول عنه أنه مريد وغير راض وبعد الإجراء والشفاء أصبح مريدا وراض . هناك آية قد تستشكل للبعض ما قيل وهي في قوله تعالى :" **وما تشاءون إلاَّ أن يشاء الله** " أي ليست لكم مشيئة أي لا تستطيعون أن تريدوا شيئا إلا ما أراده الله . الجواب هو أن هذا ليس معنى الآية . إنما معناها أنها وأمثالها من الآيات تنطوي على منة كبرى امتن الله بها على عباده، حيث يقول لنا الله وما تشاءون أي ما كنتم لتتمتعوا بملكة المشيئة إلاَّ أن يشاء الله ،أي تمتعنا بملكة الاختيار واتخاذ القرار فضل من الله عز وجل .وهي تناسب قوله تعالى:" **ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها**"

(الدرس 12)

5. القضاء والقدر :هذا الموضوع ينبثق من صفتا العلم و القدرة، فهو الذي يعلم غيب السموات والأرض، ويعلم السر وأخفى، ويعلم ما مضى وما يجري وما هو آت ، ويعلم أفعالي الاختيارية سلفا . هذا ما نسميه **بالقضاء** وهو علم الله بما سيجري في الكون، و**القدر** هو وقوع هذه الأشياء التي سبق علم الله بها تماما كما علمها . والقضاء لا علاقة له باختيار الإنسان أو جبره . وقال الإمام النووي نقلا عن الإمام الخطابي :"قد يحسب كثير من الناس أن معنى القضاء والقدر إجبار الله سبحانه وتعالى العبد وقهره على ما قدره وقضاه، وليس الأمر كما يتوهمون،

وإنما معناه الإخبار عن تقدُم علم الله سبحانه وتعالى بما يكون من اختيار العبد وبصدورها عن تقدير " وابن الحجر في كتابه " فتح المبين في شرح الأربعين النووية " يقول ما نصه " والقضاء علم الله أولا بالأشياء على ما هي عليه والقدر إيجاده إياها على ما يطابق علمه ".

مشكلات تعترض ما قيل :

- قد يقول أحدنا من الذي يخلق فعلي ؟ أقول الله لأنه هو خالق كل شيء، وفعل الإنسان سواء طاعة أو معصية بخلق الله . هنا من يقع في إشكال يقول إذا الإنسان مجبور . الجواب هو التالي :بالنسبة لثواب والعقاب اللذان يدخرهما الله تعالى للعبد هل هو على الفعل المادي الذي تراه أعيننا أم على القصد الذي استكن في قلبه فدفعه إلى فعل ما ؟ الجواب على القصد، حيث أن الله عز وجل يخلق في كياني القدرة على الفعل استجابة لقصدي ، وهذا الفعل يوم القيامة يصبح شاهدا على القصد، والثواب يكون على القصد . ودليل على هذا حديث الله عز وجل عن عباده سواء الذين استحقوا الثواب أو العقاب حيث نجد أن الله جل جلاله يربط كلامه بالقصد ونجدها في القرءان بعبارة الكسب مثل قوله تعالى :" **لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت** "ويقول :" **كل نفس بما كسبت رهينة** " ويقول :" **بما كسبت أيديكم** " وغيرها من الآيات، ومعناها أن الله تعالى أناط الثواب والعقاب بقصود الطائعين والعاصين .والشريعة والقانون الوضعي يقومان على هذا الأساس .

- سائل يقول وماذا نصنع بقول الله عز وجل :" **ولو شاء لهداكم أجمعين** "وقوله :" **ولو شاء ربك لأمن من في الأرض كلهم جميعا** " وقوله :" **من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم** "الجواب من أن هذه الآيات وأمثالها لا علاقة لها بما نحن بصدده وإنما تعني أن الله عز وجل لو أراد لزج عباده جميعا زجًا في الطاعة مثل الملائكة، لكن البارئ شاء أن يغرس بين جوانح الإنسان اختيارا ويضعه بين جاذبي الخير وهو جاذب الفطرة والشر وهو جاذب الغريزة الحيوانية . وهناك دين وخطاب رب العالمين، وتبشير و إنذار وتعذيب . ولهذا وجد الثواب والعقاب .

قد تتدخل قدرة الله في تقوية إنسان إلى أعمال الخير وهو ذاك الإنسان الذي قرر إتباع الحق أينما لاح له، وأضاف إلى ذلك التجاء إلى الله ليبصره إلى طريق الحق هذا يدعم الله توجهه إلى الخير . وآخر قرر أن لا يتبع هذا الدين ولا الإيمان بالله مهما توضحت الأدلة أمامه، فالله تعالى يدعم إرادته السيئة، وهو مستكبر وهؤلاء هم المعنيين بقوله تعالى :" **من يشأ الله يضلله**" .وقضى الله تعالى

في حق هؤلاء ما يلي في قوله تعالى :" **سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا** "

- قد يأتي من يقول عن الحديث النبوي الصحيح :" **إن أحدكم ليجمع خلقه في بطن أمه أربعين نطفة .....إلى أن يقول :" فو الذي نفسي بيده إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون ما بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون ما بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها** " رجعنا إلى الجبر بحسب الظاهر أن أحدا يؤدي الطاعات و قربات وقبل موته بقليل يعمل عملا من أهل النار خلاص كل طاعاته ذهبت سدًا ، والثاني العكس .والجواب أن في رواية أخرى لمسلم :" **فو الذي نفسي بيده إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدوا حتى ما يكون ما بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار فيما يبدوا حتى ما يكون ما بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها** "كلمة فيما يبدوا تجيب على الإشكال، معناه هذا الذي يعمل بعمل أهل الجنة فإننا لا نرى إلا الظاهر ولا علم لنا بما استكن بين جوانحه . والرسول يبين لنا أن أمثال هؤلاء في داخلهم زغل تنطوي عليه جوانحم من رياء وكبر وغيره الله وحده أعلم بها، لكن لابد أن تكون أخيرا خاتمته بيانا لهذا الواقع في سريرته لا بما في ظاهره .أما إن كان الباطن والظاهر متجهان لمرضاة الله عز وجل أي مخلص في أعماله فهذا مستحيل أن يهدر الله أعماله وهذا في قوله تعالى :" **ما كان الله ليضيع إيمانكم** " . وعن الفئة الأخرى أن زيد من الناس مرتكب لموبقات وهو ما نراه، لكن هناك شيء لا نعرفه بينه وبين الله عز وجل، وتمر به حالات تدلل ودعاء وبكاء لله عز وجل واعتراف بضعفه ...والله تعالى مطلع على حاله ولابد أن يستجيب له قائلا له لبيك يا عبدي .

(الدرس 13)

ـ هنالك أحاديث قد تستشكل عند البعض في معناها ويرى فيها تعارضا لما ذكر لنتأملها

1. حديث يرويه مسلم والبخاري والترمذي وأبو داوود وابن ماجة من حديث سيدنا علي رضي الله عنه قال :

" **كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم جالسا وفي يده عود ينكث به فرفع رأسه وقال :" ما من مسلم أو ما منكم من نفس إلا وقد عُلِم منزلها إن في الجنة أو في النار** " فقال له أحد الصحابة فيما نعمل ؟ قال :"**لا بل اعملوا فكل ميسر لما خُلق له** " أكيد فينا من يقول كيف نستطيع أن ندرك معنى القضاء والقدر الذي بينه جميع علماء العقيدة أمام هذا الحديث .الجواب نتبينه من خلال حديث أخر، يروي البخاري ومسلم والترمذي من حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :"**وري رجل في قبر وذهب أصحابه وإنه ليسمع قرع نعالهم بعث الله عز وجل إليه ملكين أقعدانه وقالا له ما تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم (محمد رسول الله)فأما المؤمن فيقول محمد رسول الله بعثه الله إلى العالم بشيرا ونذيرا فيقال له أنظر إلى مقعدك في النار لقد أبدلك الله به مقعدا في الجنة،ويرونه مقعده في النار وقد أبدله الله مقعدا في الجنة ويراه وهو يتنعم بهذا الذي يراه إلى أن تقوم الساعة، وأما الكافر فيسأل هذا السؤال أيضا فيقول لا أدري سمعت الناس يقولون شيئا فقلت كما قالوا،فيقال له لا دريت ولا ثنيت،ويضرب بمطرقة يصيح بها صيحة يسمعه كل الثقلين إلا الإنس والجن، ويقال له أنظر هذا مقعدك في الجنة أبدلك الله به مقعدا في النار**" ما علاقة هذا الحديث بالأخر الذي نستشكل فيه معنى القضاء والقدر ؟ علمنا من حديث أنس أن كل واحد منا هيئت له نهايتين مسعدة وشقية ومكانين أحدهما في الجنة والأخر في النار، وهذا لأن الله وضعه أمام نجدين، والإنسان له أن يختار أحدهما . فالله تعالى الذي خلقني علم في سابق عهده أنني سأنقاد لفطرتي وأتحرر من رعوناتي وأبدل الجهد في سبيل ذلك، هذا الذي يضمن مقعده في الجنة وينسخ به مقعده في النار، والله تعالى يسهل عليا هذا الطريق ، وييسر لي الطريق الذي علم أنني سأختاره، والعكس لمن يعرض عن هذا واختار لنفسه الطريق الأخر وهذا ييسره الله لهذا النهج الذي اختاره لنفسه، من هنا يتبين لنا حديث رسول الله " **لا بل اعملوا فكل ميسر لما خُلق له** "

2. حديث أخر يرويه البخاري وأبو داوود والترمذي والنسائي من حديث أبا هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :" **احتج آدم وموسى أي تجادلا فقال له موسى : يا آدم أنت أبونا خيبتنا فأخرجتنا من الجنة . فقال آدم : يا موسى أنت كليم الله عز وجل اصطفاك الله بكلامه وخط لك بيده يعني المنهج أتلومني على أمر قدره الله تعالى لي . فقال رسول الله فحج آدم موسى أي تغلب عليه** " ربما فينا من يقول هذا آدم يقول أن القدر غلل يديه فا فعل ما فعل تحت سلطان القدر الذي أفقده حريته . الجواب أن هذا الحوار إنما كان في الحياة البرزخية. وآدم عندما أكل من الشجرة فهذا تم بدون إرادته أي من القسم الأول في القضاء الذي يتم بدون اختيار الإنسان وأكل وهو ناسٍ في قوله تعالى :" **ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما** " هذا غير مكلف هنا .وفي قوله تعالى :" **وعصى آدم ربه** " هذه معصية لغوية وليست اصطلاحية شرعية . والتكليف تم في الأرض :" **ومن اتبع هدايا فلا يضل ولا يشقى** "

3. حديث أخر يرويه مسلم في صحيحه من حديث عبد الله ابن عمرو ابن العاص النبي عليه الصلاة والسلام يقول :" **إن قلوب ابن آدم كلها بين إصبعي من أصابع الرحمان كقلب واحد منكم** "ثم يقول :" **يا مصرف القلوب صرف قلوبنا إلى ما يرضيك** " قد نقع في إشكال أن الأمر ليس بيدي مادام قلبي يقلبه ربي كيف يشاء ؟ الجواب على الإشكال نرجيه إلى الدرس القادم .

(الدرس14)

ـ حديث لرسول لله صلى الله عليه وسلم في قوله:" قلوب العباد بين إصبعي من أصابع الرحمان يقلبها كيف يشاء" الإشكال الذي قد يخطر في البال هو إذا كان البارئ هو الذي يقلب قلوب عباده ويوجهه إلى ما يشاء ويصرفها عم ما لا يشاء، إذا لم يبقى للإنسان أي اختيار، ولم تبقى له حرية في فعل ما يريد أو ترك ما لا يريد .الجواب هو أننا نجد في الأجوبة عن الأحاديث الأخرى جوابا أيضا عن هذا الإشكال في هذا الحديث . نعم حديث رسول الله صحيح وسؤال الوارد هو هل يوجه الله قلب عبد من عباده إلى ما يشاء اعتباطا، وهل يصرف الله عز وجل قلب عبد من عباده عما لا يشاؤه أيضا اعتباطا ؟ لا ربنا سبحانه وتعالى ألزم ذاته العلية بأن يزيد العبد الذي تعرض للإيمان وموجباته إيمانا، وألزم ذاته العلية بأن يكرم الإنسان الذي استسلم لفطرته التي فطره الله عليها ارتباطا بها وسعادة بالتمسك بها وهو القائل :" **يضل به من يشاء ويهدي من يشاء وما يضل به إلا الفاسقين** " . وربنا عز وجل في القرءان وضعنا أمام قانون له وهو أن الإنسان الذي لم يستكبر أمام الله عز وجل وانقاد للفطرة التي فطره الله عز وجل عليها بان يوجه قلبه إلى الخير ويصرفه عن الشر، وفي الوقت ذاته أطلعنا البارئ على القانون الأخر الذي يأخذ به عباده أن كل من استكبر على الله عز وجل وسار مسيرة إبليس الذي بسببه طرد من رحمة الله بان يطرد هو الأخر من رحمته وقال :" **ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه وأعرض عنها ونسي ما قدمت يداه إن جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا أبدا والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم**" من خلال الآيات يتبين لنا أنه من تعرض لنفحات الرحمان أكرمه الله بألطافه ومن تعرض لسخطه عاقبه الله سبحانه وتعالى بالطرد من رحمته .

ـ هناك إشكال قد يرد للبعض وهو قولهم نحن نؤمن أن الله عز وجل وهب الإنسان حرية الاختيار، ومادام الله هو الواهب للإرادة إذن بإرادته أنجز الأعمال الجواب عن الإشكال ما يلي : عندما نقول أن الله عز وجل وهبني نعمة الاختيار أي أن الله متعني بملكة الإرادة والملكة شيء كلي ولا نقول مثلا وهبني حرية القيام بالصلاة، وأنا نائم أو جالس فالملكة موجودة بكياني، كما نقول أن الله متعني بملكة الفكر أو الضحك وغيرها .وبملكة الاختيار تفعل ما تشاء وتتوجه إلى الطريق الذي تريد .ومنه هي ملكة قد أستعملها وقد لا أستعملها وبها نختار أعمالنا .

خلاصة الموضوع

القضاء علم الله بكل ما يجري في الكون وهو متفق مع إرادته، والبارئ عز وجل يطبق هذه الأشياء طبقا لعلمه وهذا هو القدر، والإنسان في بعض تصرفاته مختار، وفي البعض غير مختار، ولما أراد البارئ أن تكون مختارا أصبحت تصرفاتك كلها داخلة في إرادات رب العالمين .وفعل الإنسان شاهد على قصده الذي يثاب عليه أو يعاقب .

ونختم كلامنا بما يتوج موضوع القضاء والقدر أن منطق العبودية لله عز وجل أنه لا يمكننا أن ترتاح لما قاله الله عز وجل في القضاء والقدر وما قاله رسول الله إلا بعد أن تتذكر عبوديتك لله سبحانه وتعالى، وألهيته المطلقة للكائنات، ويتصرف في ملكه كما يشاء . وعلي أن أطبق معنى عبوديتي لله بقولي له أنا عبدك أطيعك جهد استطاعتي سواء قبلتني أم لم تقبلني، سواء أكرمتني أم لم تكرمني، أنا لن أحيد عن السير إلى مرضاتك، وسأنفذ الأوامر التي طلبتها مني لا انتظارا للأجر تكرمني به، ولكن لأني أنا عبدك وأنت ربي . هذا ما يريده الله منا . قالوا :" أن رجلا من الصالحين كان كثير العبادة والتقى والالتزام بأوامر الله قيل له على لسان واحد من الأولياء انه اطلع على اللوح المحفوظ بأن اسمه مسجل في قائمة الأشقياء، وانه ممن يعذبه الله العذاب الشديد يوم القيامة، قال والله إن عذبني أو أكرمني أنا عبده لن أحيد عن بابه، هل هنالك رب آخر ألتجئ إليه ؟ ليس لي غيره وهو يملك أن يفعل بي ما يشاء " والقصة قد تكون صحيحة أو رمزية، لكن المعنى صحيح والعبد الصادق هكذا ينبغي أن يكون و لك العتبى يا ربي حتى ترضى . ولنتأمل قوله تعالى في أواخر سورة البقرة والتي أخافت الصحابة كثيرا وهرعوا إلى رسول الله سائلين ما النجاة بعد الأن ؟؟ وهذا في قوله تعالى : " **لله ما في السموات وما في الأرض وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير** " فقال لهم رسول الله:" **أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين سمعنا وعصينا قولوا سمعنا وأطعنا** " فقالوا سمعنا وأطعنا واستغفروا الله عز وجل ورجعوا إلى بيوتهم فأنزل الله عز وجل قوله :" **آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ..**"

(الدرس 15) رؤية الله سبحانه وتعالى :

هذا الموضوع يتناول ثلاثة جوانب، الجانب الأول البحث في أصل رؤية العبد ربه أهي من الممكنات أم من المستحيلات ؟الجانب الثاني هل دلت الأدلة العقلية والسمعية على أن العبد يرى ربه يوم القيامة إذا ختمت له بخاتمة حسنة ؟الموضوع الثالث هل دل السمع من قرءان وسنة على وقوع هذه الرؤية لكائن ما في دار الدنيا ؟

1. أصل رؤية العبد ربه أهي من الممكنات أم من المستحيلات ؟ جمهور علماء المسلمين من أهل السنة والجماعة على أن رؤية العبد ربه من الممكنات .أما المعتزلة خالفت هذا وقالوا أن رؤية العبد ربه من المستحيلات

ـ ودليلهم أنه عندما ترى إلى شيء فتقع عيناك عليه لابد أن ينبثق من عينيك خطان في زاوية منفرجة والشيء المرئي محصور بين هذين الضلعين، وقد علمنا أن الله عز وجل لا يحصره مكان .

ـ ويستدلون أيضا بالقرءان أن سيدنا موسى لما كلم ربه قال :"**ربي أرني أنظر إليك قال لن تراني انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني** "وقالوا أن لن هذه لتأبيد .

الجمهور قبل ردهم استدلوا بإمكانية الرؤية بكلام الله عز وجل في قوله تعالى :"**وجوه يومئذ ناظرة إلى ربها ناضرة** " ويقول عن الجاحدين :" **كلاَّ إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون** "

ـ رد أهل السنة للمعتزلة عن دليلهم العقلي أن الله الذي خلق طاقة الرؤية أهو عاجز أن يخلق في كيناتنا طاقة لرؤيته تتناسب ذاته العلية، ومن قال أن الله سيبقي هاتين العينين الضعيفتين لرؤيته ؟وماذا تقول عن الكافرين الخالدين في النار أيبقي الله أجسادهم نفسها وهو القائل :" **كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها** " إذا كل مقاييس النعيم ومقاييس العذاب لا تتناسب مع هذه القدرات الضعيفة التي نتمتع بها في دار الدنيا .

ـ والرد بالنسبة لدليل السمعي عندما قالت المعتزلة عن قوله تعالى لموسى لن تراني، أهل السنة والجماعة قالوا أن هذا دليل لنا وليس دليل للمعتزلة، وقول سيدنا موسى لله أرني أنظر إليك ظنا منه من إمكانية رؤية العبد ربه، وكان هو أولى بعلمه وهو نبي من عدم إمكانية الرؤية . وما سأل موسى ربه إلاَّ لعلمه أن رؤية الله من النوع الممكن، أما عن النفي بـ لن لا توجد كتب عربية تدل على أنها تفيد التأبيد والقرءان يبين خلاف ذلك قوله عن اليهود :" **ولن يتمنوه أبدا**

بما قدمت أيديهم " هذا عن الموت وفي الآخرة قالوا :" **يا مالك ليقضي علينا ربك** " إذا لن ليست لتأبيد كما قالوا .إذا ما كان عليه أهل السنة والجماعة هو الصحيح، وكثير من المعتزلة رجعوا عن هذا .

2. هل دلت الأدلة العقلية والسمعية على أن العبد يرى ربه يوم القيامة إذا ختمت له بخاتمة حسنة ؟

نعم اتفق أصحاب رسول الله كلهم على أن العبد إذا ختمت حياته بخاتمة حسنة سيرى ربه والبشارة من قوله تعالى :" **وجوه يومئذ نضرة إلى ربها ناظرة** "ثم الكلام الأخر :" **كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون**" مادام أن هنالك قوم حجب نفسه عنهم بالسخط دل على أن قوم أخر سيرونه بالرضا .وهو ما استدل به الإمام الشافعي من الصعيد وهو في مصر يسأل : هل يرى العبد ربه يوم القيامة ؟وكتب إجابة في استفتاء بقوله ما ذكرنا .وكان الربيع وهو من تلاميذ ته في المجلس قال : أموقن أنت بهذا ؟ قال :" والذي نفس محمد ابن إدريس بيده لو لم أوقن أنني سأرى ربي في العقبى لما عبدته في دار الدنيا "

. هناك دليل عقلي نقلي وهو أن البارئ عز وجل عن المؤمنين الذين شاء الله أن يكرمهم بسعادة الدنيا والآخرة يقول :" **لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد** " السؤال الذي أطرحه عليكم إنسان عاش حياته يناجي ربه ولم يراه يسأله فيستجاب دعواته، تأتيه رسائل الحب والإكرام واللطف ولا يراه، أليس هذا الإنسان في غاية الشوق عندما يرحل من هذه الدنيا أن يرى هذا الإله وهي أعظم من شوقه إلى الجنان التي وعدنا الله بها وقوله لهم ما يشاءون فيها، وأول ما يسأله العبد من ربه أن يريه ذاته العلية . تصور أنه أجابه بلا، كيف يكون حال العبد آنذاك ؟ يا الله نسألك اللطف وطريق الهداية والتوفيق .وقال العلماء أن المراد بالمزيد في الآية هو رؤية البارئ سبحانه وتعالى.ولا تسألون عن الكيف فهذا الله أعلم به .

3. هل دل السمع من قرءان وسنة على وقوع هذه الرؤية لكائن ما في دار الدنيا ؟

أما ما عدى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فلا، ومن ادعى أنه رأى ربه يعاقب . لكن وقع خلاف بين الصحابة في أن الرسول هل رأى ربه يوم عرج به إلى السماء الدنيا أم لم يراه؟أما عدد كبير من الصحابة وعلى رأسهم "عبد الله ابن عباس " أن رسول الله قد رأى ربه يوم عرج به وعن

هذه الرؤية قال الله تعالى :" **وما جعلنا الرؤية التي أريناك إلا فتنة**" أي هي امتحانا لناس بين مصدق وغير مصدق . وهنالك من قال لا صحيح عرج به إلى السموات العلى لكن لم يرى ربه . وممن قال بهذا السيدة عائشة رضوان الله عليها . وقد سئلت هل رأى رسول الله ربه ليلة الإسراء والمعراج فقالت :" **لقد قفَّ شعري من هذا الذي قلت** (أي اقشعر بدني من هذا الذي قلته) **أين أنت من ثلاث من حدثهن فقد كذب من حدثك أن رسول الله قد راى ربه ليلة عرج به فقد كذب** " واستدلت بقوله تعالى :" **لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار** " **ومن حدثك أن رسول الله يعلم ما في غد فقد كذب** واستدلت بقوله تعالى :" **وما تدري نفس ما تكسب غدا** " **ومن حدثك أن رسول الله كتم شيئا أمر بتبليغه فقد كذب** " قال العلماء هذه مسألة خلافية لا يضرك أن تذهب إلى ما ذهب إليه عبد الله ابن عباس أو إلى ما قالته السيدة عائشة ومن تبعها من الصحابة رضوان الله عليهم جميعا . والله أعلم . وما قالته السيدة عائشة في المسألة الثانية والثالثة فعلا هي محل اتفاق . خلاصة الموضوع أن رؤية العبد ربه يوم القيامة من الممكنات العقلية . ثانيا أن الإنسان إذا ختم له بخاتمة حسنة ترضي الله عز وجل سيرى ربه وهو تاج لنعيم الذي يكرم الله به عباده يوم القيامة .

(الدرس 16) قسم النبوات

مقدمة : هي جسر واصل بين الإلهيات والنبوات .

نتساءل هنا ما الذي يجعلنا ننتقل من إيماننا بوجود الله ودلائل ذلك وصفاته إلى الحديث عن النبوات والأنبياء والرسل والمهام التي بعثوا بها ،ما العلاقة بين هذا وذاك ؟ أو بعبارة أخرى في عالمنا اليوم مؤمنون بالله ولهم من الأدلة الكثيرة ما يثبت لهم ذلك لكنهم لا يقيمون وزنا بالانضباط بأوامر أو الانتهاء بنواهي، ولا يشغلون أفكارهم بالحديث عن نبوات ورسل أرسلوا والمهمة التي بعثوا بها، إذن هم آمنوا بالله وانتهى، هل هذا سلوك منطقي ؟ الجواب عن هذا هو الجسر الذي بين الإلهيات والنبوات أي بين إيماننا بالله وحديثنا عن النبوات .

إن إيماننا بالله وصفاته المطلقة يقتضي منا أن نتساءل عن مهمتنا في هذه الحياة الدنيا، حيث تأملنا في الكائنات كلها وجدنا أنها عاكفة على الوظائف التي خلقت من أجلها تماما كما قال الله عز وجل :" **كل قد علم صلاته وتسبيحه** " أتساءل عن نفسي ما هي وظيفتي .وإذا تأملت في أناس من حولي نجد منهم من يتمتع بقوة فاستعملها في الطغيان والبغي والظلم والإفساد، وأنظر فأجد لا أحد يأخذ على أيديهم أو من يعاقبهم، وألتفت وأجد من بين هؤلاء الناس آخرون ضعفاء لا حول لهم ولا قوة وقد وقع عليهم الظلم . وأنا آمنت إيمانا عقلانيا بوجود الله وأنه يتصف بصفات الكمال منها العدل والرحمة والقوة والقهر وأنه قيوم السموات والأرض، هل يقبل عقلي الذي أمنا بالله أن هذا اليوم لا غدا له، وأن هذا العالم سينتهي لا الظالم ينال عقابه ولا المظلوم ينتصف له ؟ لا يمكن هذا بشكل من الأشكال .لأننا مملوكون لملك حكيم لا يعبث وقال تعالى :"**اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب**"وأتساءل متى ينال عقابه ولا المظلوم ينتصف له ؟ يأتني الجواب من الأنبياء والرسل . هذا هو الجسر الواصل بين قسم الإلهيات وقسم النبوات .

نحن المؤمنون الملتزمون بإذن علام الغيوب لنا وظيفة اختيارية في هذه الحياة عكس وظيفة بقية الكائنات التي هي إلزامية، وقد هدانا إلى وظائفنا بالإخبار الإعلام عن طريق الرسل والأنبياء .

ما معنى نبي وما معنى رسول وما الفرق بينهما ؟

كلمة نبي مأخوذة من النبأ والذي معناه الخبر، حيث أن ربي سبحانه وتعالى أخبر بعض العباد بأخبار عن طريق سيدنا جبريل فأصبح اسم هؤلاء أنبياء .

ـ كلمة رسول تعني أن هذا الرجل ذات الذي أنبأه الله تعالى بخبر عن طريق جبريل عندما يلتفت إليهم ليخبرهم عن الرسالة التي حملها الله تعالى إياها إليهم . هذا الإنسان في علاقته مع رب العالمين تسمى نبوة، وعلاقته مع الناس تسمى رسالة مثل نبينا الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم .لذلك ورد في الصحيح أن محمد رسول الله علم أصحابه ما يقولونه عند الرُقاد :" اللهم إني أسلمت نفسي إليك ووجهت وجهي إليك وألجأت ظهري إليك وفوضت أمري إليك رغبة ورهبة إليك لا ملجأ ولا منجى إلى إليك اللهم إن أمسكت روحي فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين أمنت بكتابك الذي أنزلت و با نبيك الذي أرسلت" ولا نقول رسولك الذي أرسلت .

كل رسول نبي لأن الرسالة نتيجة النبوة . أما عن الأنبياء فكثير من العلماء قالوا أن كثير من الأنبياء شرفهم الله تعالى بالنبوة وأطلعهم الله عز وجل عليها عن طريق جبريل، لكن لم يكلفوا إبلاغها إياها الناس فسموا أنبياء .وهناك من قال لا كل نبي فهو مكلف بالإبلاغ فهو نبي مرسل .والعمود الفقري في النبوة والرسالة هو الوحي .

ما هو الوحي ؟هو أن يتلقى العبد الذي اختاره الله نبيا خبرا من عند الله عز وجل عن طريق جبريل بحيث لاختيار له في جلب هذا الخبر إليه ولا في رده عنه .

(الدرس 17)

(تحدث الشيخ عن حقيقة الوحي وتلاعب المستشرقين في حديثهم عن هذه الظاهرة التي لم ينكر حقيقتها، لكنهم أرادوا تفسيرها على النحو الذي يطيب لهم . وهذا الملخص أخذ من فقه السيرة أثناء حديثه عن بدأ الوحي وحقيقته)

حقيقة بدأ الوحي :

حادثة بدأ الوحي من أهم الأحداث التي كتب فيها المستشرقين كتب كثيرة بعضها ترجم لماذا ؟ لأنهم ان استطاعوا أن يعكروا صورة الوحي وحقيقته ويلبسوا على المسلم ذلك، فالقرءان والسنة النبوية كلها تبصير تابعة لذلك وينتهي الأمر . لهذا بدلوا جهودا شاقة لتفسير الظاهرة على النحو الذي يطيب لهم .

وتحليلنا للأمر من الأهمية بمكان . خبر بدأ الوحي تناقلته كتب التاريخ كلها، والسنة والسيرة أيضا، وتواتر

توا ثرا معنويا لذلك لا يسع المستشرقون وغيرهم إنكار بدأ الوحي بل يأخذونه ويبنون وفق تصوراتهم، ويفسرونه حسب ما يروق لهم .

ماذا قالوا في تفسير الوحي ؟ منهم من قال من كثرة خلوته بالغار صار عنده شفافية روحية، وصارت له أفكار داخلية نتيجة العزلة . أي الوحي شعور داخلي نتيجة استمرار البعد عن الناس . آخرون قالوا لا من الأصل محمد عبقري، له أفكار نادرة وقلما تجدها عند الآخرين، وتألقت بعد خلوته التي تعود عليها . رأي ثالث قال لا بل إنه يعاني من صرع .

نحن نقول لكم لماذا تنسبون إلى محمد حديث بدأ الوحي ؟ هل أرحتم أنفسكم وأنكرتم حديث بدأ الوحي ؟ و أنه لا يوجد في التاريخ شيء اسمه بدأ الوحي .

إذن لنجعل المقياس في تفسير الوحي هو بدأ الوحي مادمتم تؤمنون به، إذن ينبغي أن يكون تفسيركم لها غير متناقض معها .

ـ لنرى ما حدث لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومن هنا نستبين حكمة رب العالمين الغريبة والعجيبة ، الرسول محمد محبوب لدى ربَّ العالمين لماذا تركه ترتعد فرائسه مما رأى، وأنتقع وجهه معنى اصفرَّ، وقال زملوني، زملوني، لماذا ؟ نقول هل الإنسان الذي يتمتع بشفافية روحية وشعور داخلي تنتابه البُرَداء والخوف والرعب . ما رأينا من العباقرة إن انتابهم إلهام داخلي يصفر وجههم وتأخذهم البُرَداء . فربنا سبحانه وتعالى تركه لطبيعة البشرية ، ولم يربط على قلبه وهو قادر على ذلك، حتى يكون وضعه هذا تكذيبًا وتقطيعًا لألسنة من يتخرصون ويقولون هذا الكلام . وفي حادثة بدأ الوحي عندما التقى بالملك فاضت روحه ولم يستطع البقاء في مكانه، من شدة الخوف . إذن كيف نجمع بين هذا وقولكم أنه شعور داخلي .

ـ قصة بدأ الوحي التي تؤمنون بها تقول أن السيدة خديجة مضت به إلى ورقة بن نوفل، لحكمة إلاهية أراد المولى أن يستدل بالقصة برجل أربى المائة، وقد تنصر في الجاهلية، وعلم الكثير من الإنجيل ومن التَّوْرَاتْ، هذا هو الناموس أي الوحي أو جبريل، الذي نزل على موسى، يا ليتني كنت جذعًا أي شابًا قويًا ليتني أكون حيًا إذ يخرجك قومك . ثم قال لم يأتي رجل قط بمثل ما جئت به إلاَّ عودي، وإن يدركني يومك لأنصرنك نصرًا مؤزرًا . شاء الله تعالى أن يكون من كلام ورقة شهادة الإنجيل و التَّوْرَاتْ . لا يمكنكم تكذيب ورقة وهو نصراني قد تجاوز المائة .

ـ قد يقول قائل أن رسول الله كان يمثل بما رآه، نقول هل يمكن لأشهر ممثلي هوليهود أن يغير نظارة وجهه إلى منتقع بدون أصداء بدون ماكياج ؟؟ نقول أن رسول الله بلغت به القدرة التمثيلية أن يغير الدورة الدموية في كيانه ؟؟ ولله الحمد الذي أسكت المتخرصين بهذا الذي حدث لمحمد صلى الله عليه وسلم .

ـ شاء الله تعالى أن يقطع الوحي عن نبيه قيل ثلاث سنوات وقيل ستة أشهر، خُيلَ لرسول الله أنه ارتكب وزراً لهذا تحولت النبوة عنه، ولهذا كان يضيق صدره جدًا . ما لحكمة من تأخر الوحي ؟ حتى يكون ذلك إسكاتٌ لهؤلاء المتقولين . هل المتمتع بالشفافية والعبقرية ينتابه هذا الضيق ويعود إلى إلهامات نفسه، باحثا عن هذه الشفافية في شعاب الجبال وعندما لا يجدها محولاً أن يلقي نفسه منها ؟؟ هل يحدث هكذا معهم ؟؟

ـ ويا عجبا لمن يقول أن بحيرة الراهب هو الذي علمه القرءان في لقاء لم يدم إلا ساعات قليلة ومحمد لم يبلغ بعد سن الحلم، كيف نصدق أنه أخبره عن أشياء وقعت بعد سنوات كغزوة بدر وأحد والخندق وغيرها . أهو إلاه هذا بحيرة الراهب ؟؟؟ وقد مات مثل غيره من المخلوقات .

فالأفكار الداخلية تأتي وتذهب، والشفافية الروحية إلهام يأتي ويغيب . إذا حادثة بدأ الوحي من أولها إلى أخرها تكذيبا لتفسيراتهم .

- حالة النبي وقت نزول الوحي وإخباره خديجة وقد انتابه الخوف والفزع دليل صدق المصطفى صلى الله عليه وسلم .
- شهادة التاريخ من خلال ورقة بن نوفل، وكان أكبر رجل بمكة آنذاك وهي شهادة النصرانية واليهودية و التاريخ .
- الكرب والهم والحزن الذي انتاب الحبيب المصطفى عند غياب الوحي . ظنا من نفسه أنه ارتكب ذنبا أو إثما فغاب الوحي عنه .

إذن قصة بدأ الوحي هي الحكم العدل

من الأدلة القاطعة أيضا على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وأنه كان يأتيه الوحي :

1. الملك الذي رآه رسول الله بعد مدة انقطاع الوحي على شكل آخر، وهو جالس على كرسي وقد ملأ ما بين السماء والأرض، ويقول له أنت رسول الله إلى الناس، وأخذه الهلع مرة أخرى عائدا إلى بيته يقول دثروني، دثروني .
2. من الأدلة أيضا اختلاف الأسلوب بين القرءان والحديث .

3. كثيرا ما كان النبي يسأل في أمر من أمور الدين فا لا يجيب، لأنه لا يعلم ولا يريد أن يأتي بشيء من عنده لا يعلم أهو مطابق لعلم الله أم لا ، حتى يأتي الوحي ليجيب عن السائل . مثلا عندما أراد اليهود اختبار صدق نبوته سألوه : عن فتية خرجوا من الدار ولم يعودوا لهم قصة، وسلوه عن رجل جواب في الأفاق ملك، وسألوه عن الروح . ذهبوا إلى الرسول وسألوه الأسئلة الثلاثة . فقال لهم تعالوا غدا أجيبكم . فرجعوا إليه في الغد، لم ينزل الوحي بعد يومين، ومضت أيام قيل خمسة عشرة يومًا حتى أخذ المشركين يشمتون برسول الله صلى الله عليه وسلم . حتى أنزلت سورة الكهف لتجيب عن الفتية، وقصة ذو القرنين لإسكندر . وأما عن الروح قال الروح من أمري ربي وقال لا تقلن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلى أن يشاء الله . كلها أدلة أنه كلام الله .

4. أحيانا كان الرسول يجتهد في بعض الأمور حسب ما يمتلكه من علم في الشريعة، ويأتي الوحي ليخطئه . مثال ذلك لما جاءته امرأة اسمها خوله زوجة "أوس بن الصامت" قالت : يا رسول الله زوجي قال لي أنت مني كظهر أمي ماذا يترتب عن ذلك ؟ قال الرسول ما أُراكِ إلا قد حرُمْتِ عليه . قالت يا رسول الله لعله لا يريد طلاقًا ؟ قال الرسول ما أُراكِ إلا قد حرُمْتِ عليه. قالت إنَّ لي منه صبية، إن ضممتهم إليه ضاعوا ،وإن ضممتهم إليَّ جاعوا . يرجع يفكر النبي ويقول لها : ما أُراكِ إلا قد حرُمْتِ عليه . فقامت وهي تقول أشكوا إلى الله أمري . وإذا بآيات تنزل في سورة المجادلة : « **قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله سميع بصير** » إلى أن قال : «**الذين يظاهرون منكم من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا** » إذن الظهار ليس طلاقا . وأرسل إلى المرأة يخبرها عن ذلك، ودعا زوجها وتلا عليه الآيات .

ـ الرسول صلى الله عليه وسلم بالنسبة لأمره لنا وحديثه معنا نحن البشر، كله حق وصواب، ويجب علينا أن نطيعه : «**أطيعوا الله وأطيعوا الرسول** » أما علاقة الرسول مع ربه فالله أن يُخَطِئَهُ. وتقول السيدة عائشة ما نزلت آية أشد على رسول الله صلى الله عليه وسلم من قول الله تعالى في حق متبناه زيد : «**وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتقي الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه** » وتقول السيدة عائشة لو كان الرسول مستخفيًا شيئًا من القرءان لأخفى هذه الآية . حيث أن البارئ نسخ نظام التبني الذي كان في الجاهلية . وأنه بعد طلاق زيد من زينب يتزوجها رسول الله، حتى ينتشر بين الناس أن نظام التبني ألغيا . كيف نقول بعد هذا أن الوحي شعور داخلي ؟؟؟

5. أمية الرسول هي تشريف له، ومن أين له بتفاصيل قصة سيدنا يوسف، إن لم تكن وحيا من رب العالمين

(الدرس18) الأنبياء الذين بعثهم الله عز وجل وكيفية الإيمان بهم

إن إيماننا بحقيقة الوحي يقتضي إيماننا بالقرءان الذي هو كلام الله، وهو أول خبر ينزل على حبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم من الله تعالى عن طريق جبريل، هذا كله يبين لنا الحقائق التالية :

1. أول نبي أرسله الله تعالى هو سيدنا آدم عليه السلام والأدلة على ذلك واضحة وصريحة في كتاب الله عز وجل، منها في سورة البقرة والأعراف والكهف وطه .والله عز وجل أكد هذه الحقيقة وهي أن هذه الأسرة الإنسانية إنما تكاثرت من أبيها الأول آدم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، وأن الله تعالى خلقه على أحسن تقويم، وبين الله عز وجل أنه لما أنزله إلى الأرض أوحى إليه بشرعة في قوله تعالى :" **إما يأتينكم مني هدى فمن تبع هدايا فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا** " إذا سيدنا آدم أول نبي أوحى الله تعالى إليه، وهو رسول أيضا لأسرته وأولاده الذين سرعان ما تكاثروا على الأرض، واختتمت النبوة بمحمد صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى :" **ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيئين وكان الله بكل شيء عليما** " وقد شرح رسول الله معنى خاتم النبيئين في أكثر من حديث منها قوله صلى الله عليه وسلم :" **مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنا بيتا وأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة في زاوية منه، فجعل الناس يطوفون به ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة فأنا اللَّبنة وأنا خاتم النبيئين** "

قد يقول قائل من خلال أحاديث كثيرة بلغت مبلغ التواتر أن الله تعالى سينزل سيدنا عيسى حيا إلى الأرض لأنه ارتفع حيا إلى السماء، وأنبأنا أيضا كتاب الله بهذا، وسيدنا عيسى نبيٌ وسينزل بعد سيدنا محمد قد يستشكل أحدا هذا . الجواب هو أن سيدنا عيسى عندما ينزل لن ينزل بوصف كونه نبيا أي لن يوحى إليه كما كان يوحى إليه قبل أن يرتفع، وإنما سينزل منفذا لشرعة محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيئين .

2. إن الله تعالى ذكر لنا في محكم كتابه أسماء خمسة وعشرين من الرسل والأنبياء على التفصيل، ذكر أسماءهم وأكثرها نقرؤها في سورة الأنعام على كل مسلم أن يتعرف عليهم وعلى نبوتهم .وهنالك رسل آخرين أرسلهم الله تعالى إلى البقاع التي كانت معمورة في الأرض والله أعلم بعددهم .وعلينا أن نكتفي بما قاله الله تعالى لنا :

" **ورسل قد قصصناهم عليك ورسل لم نقصصهم عليك**"وقال :" **ما من أمة إلا خلا فيها نذير** "وقال :" **وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا** "

3. ما الفرق بين نبوة الرسل والأنبياء الذين خلو من قبل وسيدنا رسول الله هنالك عدة فوارق لكن أهمها وأبرزها أن كل نبي من الأنبياء السابقين كان يرسل لقومه .أما خاتم الأنبياء والرسل محمد عليه الصلاة و السلام فقد أرسله الله تعالى إلى العالم كله لقوله تعالى :" **وما أرسلناك إلا لناس كافة بشيرا ونذيرا** ".والنبي عليه الصلاة والسلام ذكر في الحديث الذي رواه مسلم وغيره يقول :" **أعطيت خمسا لم يعطى منهن أحدا من قبلي، كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى كل أحمر وأسود، وأحلت ليَّ الغنائم ولم تحل لأحد من قبلي وجعلت لي الأرض طيبة ومسجدا وطهورا فأينما رحل الرجل أدركته الصلاة صلَّى حيث كان، ونصرت بالرعب بين يدي مسيرة شهر، وأعطيت الشفاعة** "هي مزايا ميز الله بها سيدنا محمد عن بقية الرسل والأنبياء السابقين، لكونه خاتمهم جميعا .

4. أن النبوة التي أكرم الله بها الأنبياء حقيقة لا تتفاوت ومعناها أنه نبأ أو أخبر بخبر من السماء عن طريق جبريل عليه السلام . وهذا هو معنى قوله تعالى :" **لا نفرق بين أحد من رسله** ". والنبوة لا تأتي عن طريق الجهد والاكتساب، وإنما البارئ عز وجل اختار من شاء من عباده لهذه المهمة " **الله أعلم حيث يجعل رسالته** ".

5. ضرورة أن نؤمن بكل الكتب التي أنزلها الله تعالى على من ذكر من الرسل والأنبياء، حيث نؤمن إجمالا بالكتب التي حدثنا الله عنها إجمالا، ونؤمن تفصيلا بالكتب التي حدثنا الله تعالى عنها تفصيلا أي ذكرت أسماؤها مثل الثورات والإنجيل وصحف سيدنا إبراهيم والفرقان على خاتم الأنبياء ...وعلينا أن نؤمن أن كل من الثورات والإنجيل قد ألحق بهما كثير من التحريف وهو ما قاله الله تعالى لنا .ومما لا شك فيه أن الشريعة التي أنزلت على نبينا محمد نسخ الله بها الشرائع السماوية السابقة .إلا ما أبقته شريعة الإسلام من أحكام كانت أيضا في الشرائع السابقة مثل أحكام الحدود .وهنالك أحكام سكتت عنها شريعتنا، وهي مبينة في الشرائع السابقة، هل لنا أن نأخذ بها ؟ اختلف الفقهاء في هذا، منهم من قال شريعة من قبلنا ليست شريعة لنا، وآخرون قالوا شريعة من قبلنا هي شريعة لنا ما لم يأتي ما ينسخه من شريعتنا .

ـ هل هنالك أديان سماوية مختلفة ؟ لا بل هنالك شرائع سماوية مختلفة، لأن الشريعة أمر متعلق بمصالح الناس وهي تتبدل، أما الدين أي الدينونة بمعنى الخضوع لعبودية الله، والخضوع لإلوهية الله سبحانه وتعالى، والإيمان بوحدانية الله هي الحقيقة التي بعث بها الأنبياء والرسل جميعا وكتاب الله يفيض ببيان ذلك .

(الدرس 19) الصفات التي يجب أن نعلمها لرسل والأنبياء :

1. الذكورة :فقد أجمع علماء العقيدة الإسلامية أن أولى صفات الأنبياء والرسل الذكورة، وأدلتهم على ذلك أن جميع الأنبياء الذين قص الله علينا قصصهم من الرجال .دليل آخر أن النبي الذي يرسله الله تعالى في قومه يتبوأ فيهم مركز الإمامة، والإمامة في كل الأمور لا تتأتى لنساء . قد يعكر هذا الذي قلناه ما جاء في محكم كتابه :" **وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم** " قد يقول الوحي دليل من أدلة النبوة وها هي ذي أم موسى قد أوحي إليها . لا المعنى هو بالوحي المعنى اللغوي وليس المعنى الاصطلاحي الشرعي . والمعنى اللغوي يقصد به النبأ السريع الذي يفاجئك وقال في كتابه :" **وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرجون** ".

2. الصفة الثانية هي الأمانة ونقيضها الخيانة، وربنا حكيم لابد أن يجعل النبي الذي يرسله إلى الناس متصفا بصفات التي تؤهله لهذه المهمة، والتي تجعله قادرا على إبلاغ الناس رسالة الله عز وجل بتمامها وكمالها .

3. العصمة من الوقوع في الذنوب، الأنبياء والرسل قطعا معصومون من المكفرات والكبائر قبل النبوة وبعدها، وجمهور العلماء أن الأنبياء والرسل معصومون من الصغائر أيضا قبل النبوة وبعدها وهذا ما نؤمن به ونلقى الله تعالى به .هناك أخطاء وقع فيها بعض الأنبياء والرسل لا تعكر هذه الحقيقة وقد أوضحها لنا البيان الإلهي، منها معصية آدم وهي بالمعنى اللغوي كما تقدم الشرح وليست شرعية، والدليل أن التكليف بدأ في الأرض وليس في الجنة . وهكذا بالنسبة لسيدنا موسى ويوسف وإبراهيم وغيرهم . هنا نلفت النظر أن الاجتهادات التي قد يجتهدها بعض الأنبياء والرسل ويخطئ فيها لا تدخل في المعاصي. والأنبياء إن أخطئوا جاء البيان الإلهي لتصويب أخطائهم، دليل على نبوتهم عليهم السلام جميعا . واجتهاد رسول الله بالنسبة لنا هو دائما حق حتى يظهر الله خطأه إن أخطأ ومثال ذلك ما ذكرناه في قصة السيدة خوله زوجة " أوس ابن الصامت " في بيان حقيقة الوحي .

4. كمال العقل والضبط والعدالة، وأكبر شاهد على ذلك ثناء الله عز وجل على أنبيائه ورسله وعلى رأسهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وهم مع ذلك كلهم بشر يحتاجون إلى ما يحتاج إليه البشر .وقد عافاهم الله من الأمراض المنفرة والمعدية .

5. هناك من يعترض ما قلناه بزواج رسول الله بأكثر من تسعة نساء ويقول أليس في هذا ما يشينه ويغمزه في أخلاقه ؟ أليس في هذا تعارض مع الصفات التي ذكرتها ؟ الجواب عن هذا أن مقياس الحلال والحرام في تصرفات النبي هو كلام الله عز وجل، وإذا كان هذا الزواج يتنافى وأخلاق رسول الله لذكر القرءان ذلك، وإنما نجد أن كتاب الله أباح زواج النبي بنساء اللائي تزوج بهن بعبارة صريحة واضحة وبيان واضح في سورة الأحزاب في قوله تعالى :" **يا أيها النبي إن أحللنا لك أزواجك اللاتي أتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها لنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم لكي لا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما ترجي من تشاء منهن وتأوي إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضينا بما أتيتهن كلهن والله يعلم ما في قلوبكم وكان الله عليما حكيما ولا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيبا** " هذا الذي نؤمن به وهذا هو كلام الله، وكلامك مردود أيها الناكر المعترض .والله تعالى فرض على رسوله أمور لم يفرضها علينا مها

قيام الليل ـ عدم أخذ الزكاة والصدقات ـ لا يوزع ماله لورثته ـ أباح له الزواج بالعدد اللائي تزوج بهن ولم يجز لعامة المسلمين إلا بأربعة وبشروط ـ البارئ حرم على المسلمين الزواج بنساء رسول الله بعد وفاته .أمور خص الله بها رسوله . حياة النبي صلى الله عليه وسلم مع أزواجه من السيدة خديجة والأخريات إلى وفاته تثبت عفته وعلو شأنه وزهده ولا تشم منها رائحة حب الجنس والشهوة كما يقول الدجالين .

ومن نحن حتى نجعل من نبينا في قفص الاتهام ونتحدث عن حكمة زواجه من هؤلاء النسوة، وهذا هو غرض المستشرقين من تساؤلهم عن حكمة تعدد زوجاته .وفحولة الرجل معلمة خير له عليه أن يشكر الله تعالى عليها .

زواج النبي من زينب بنت جحش : وهي ابنة عمة النبي، وهنالك من يطيل لسانه بقالة سوء في زواجه من زينب والغريب أن أهل قريش الذين يضمرون كره شديد لرسول الله منهم أهل نجد لم نسمع منهم هذه الوصمة من زواج النبي من زينب وذلك لعلمهم بصدق وأمانة رسول الله صلى الله

عليه وسلم . النبي عليه الصلاة والسلام كان قد تبنى في صدر الإسلام " زيد ابن حارثة " وكان يقال عنه حب رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث كان التبني في العصر الجاهلي شرعة نافذة .وتسري فيه قوانين الابن الحقيقي، ومنها إن تزوج هذا الابن ثم طلق لا يجوز للأب الذي تبنى أن يتزوج تلك الفتاة . فزوج الرسول متبناه زيد بزينب قريبته رضي الله تعالى عنها، البارئ شاء أن ينسخ ويلغي قاعدة التبني، ومن حكمة البارئ أنه إذا أراد نسخ عادة من عادات الجاهلية يربطها بحدث معين حتى يكون له وقع وتأثير في الناس ومن ثم لا يعودون إلى هذا الأمر بعد ذلك .فرتب البارئ لهذا الأمر سببا حتى تمزق هذه العادة ولا يعود العرب إليها نهائيا .

شاء البارئ بعد أن عاشت زينب و زيد ردحا من الزمن حياة مليئة بالود وتعايش، شاء البارئ أن تتنغص العلاقة بينهما . وأنزل البارئ على رسوله وحيا أنه سيكلف بالزواج من زينب بعد أن يطلقها زيد . وهذا على نفس رسول الله صعب في مجتمع جاهلي كأنه تزوج كنتُ . فكان زيد يشكو لرسول الله سوء علاقته مع زينب، والرسول يقول له اتقي الله وأمسك عليك زوجك . فانتهت العلاقة إلى طلاق، فأنزل الله تعالى آية يعاتب فيها رسوله :" **وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتقي الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه، فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكه لكي لا يكون للمؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا** " عادة نسخت وهذا هو كلام الله لا مشكلة في هذا.

(الدرس 20)

في رواية ضعفها علماء الحديث تقول : أنه في الفترة التي ساءت فيها العلاقة بين زيد وزينب بمشيئة الله تعالى، لقي رسول الله في يوم من الأيام زينب فأشاح وجهه عنها فقال :" سبحان مقلب القلوب " أي أن النبي تعجب كيف أنه هو الذي زوج متبناه زيد من زينب ولو كانت له رغبة فيها لما منعه أي مانع من الزواج منها، و الآن لما نظر إليها بدون قصد شعر بشيء لم يكن يشعر به من قبل فقال :" سبحان مقلب القلوب " وهناك من وقف عند هذا القول وقال أن رسول الله أحب زينب فخطط هذا النهج كله حتى يحظى بها بعد طلاقها من زيد بناء على هذه الرواية، رغم ضعف الرواية أردت أن أبينها، ونتساءل هل يمكن أن يكون الرسول يضمر شيئا خلاف ما قلناه ؟ لنشرح ونبين هذا . لنفرض أن هذه الرواية الضعيفة صحيحة، حيث قضى الله إلغاء موضوع التبني في الجزيرة العربية وشاء أن يترك صدا قويا لهذا الإلغاء وهو طلاق زيد من زوجته وزواج رسول الله منها،

وعندما يريد الله ذلك يهيئ له أسبابا من جملتها سوء العلاقة بين زيد وزينب حتى يطلقها، وأيضا من الأسباب أن يهيئ الله قلب رسوله لزواج منها ولا يمكن أن يكون زواجه منها مكرها كمن يتجرع غصة هذا على فرض أن الرواية صحيحة .وبهذا نقطع لسان من يتجرأ أن يتكلم بمقالة سوء عن رسول الله إن كان أصلا موقنا أنه رسول الله .

معجزات الأنبياء والرسل :

1. تعريف معنى المعجزة :**"هي كل أمر خارق للعادة يظهر على يد مدع النبوة عند تحدي المنكرين له على وجه يبين صدق دعواه** " العادة يقصد بها المألوف لدى الناس والمعروف عندهم، والمعجزة للأنبياء أما الخوارق التي تظهر في غيرهم تسمى كرامة للمستقيم على أمر الله، وإلا هي من نوع الاستدراج .وتظهر المعجزة لنبي عند تحدي المنكرين له ومطالبتهم بدليل مثل سيدنا رسول الله عندما طلب منه المشركين أن ينشق القمر لهم وكان ليلة بدر .وهناك من يدعي وجود خوارق كما ادعى مسيلمة الكذاب لما طلب منه خارقة كما تكون للأنبياء حيث كان بئر به ماء فتفل فيه فغاض الماء كله هي خارقة تدل على كذب هذا التعيس .

إذا المعجزة هي أمر خارق للعادة والمألوف وليس أمر خارق للقرار العقلي والمستحيل أو للحقائق العلمية .

حكم الاعتقاد بالمعجزات :يجب على المسلم بأن يعتقد بأن الله عز وجل قد جهز أنبياءه بمعجزات جعلها دليلا على صدق نبوتهم، ومن لم يؤمن بها فقد كفر . والقرءان ملئ ببيان هذه المعجزات لأنبيائه، ثم إن الرسول أعلن عن هذا فقال:**" ما من نبي إلا و أوتي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيا يوحى إلي فأنا أرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة"**

معجزات سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم :

إن الله عز وجل أيد رسوله بمعجزات كثيرة لكن أول هذه المعجزات وأبقاها القرءان الكريم، وهي باقية إلى يوم القيامة، وهو خاتم النبئين والمرسلين .

إعجاز القرءان قسمين، قسم يخاطب به الله العالم أجمع في أي عصر وبأي كانت لغتهم، وقسم ثاني في القرءان الخطاب فيه للعرب وهو الإعجاز البلاغي أو البياني . القسم الأول له جوانب كثيرة منها :

الجانب العلمي في كتاب الله سبحانه وتعالى وقد نسميه جانب غيبي وهذا يدركه جميع الناس، منها قوله تعالى :" **ألم نجعل الأرض كفاتًا أحياء وأموات وجعلنا فيها رواسي شامخات أسقيناكم ماء فرات** " في كتاب اسمه المواقف لرجل اسمه العضد الإيجي وهو "يونس ابن القراء عمر" الكتاب خمسمائة عام أو أكثر يتحدث فيه عن جاذبية الأرض، ويعبر عنها بقوله أن الأرض كرة وكان من المفروض الإنسان لا يستطيع البقاء عليها ولكن الله عز وجل جعل فيها سر تجعل الإنسان تجذبه إليها، ودليله الآية السابقة في قوله كفاتًا بمعنى الجذب .وهذا إعجاز علمي في القرءان .الله عز وجل يتحدث في أكثر من موضع بأن الأرض ممتدة :"**والأرض مددناها فنعم الماهدون** " والمولى يبين لنا أن لها امتداد كلي وحيثما مشيت لا تصل إلى حافة بمعنى أن للأرض انحناء مستمر والنتيجة أنها مستديرة .ومن الأمثلة أيضا على الإعجاز العلمي في القرءان أن الله عز وجل يصف دائما القمر بالإنارة ويصف الشمس بأنها سراج أو الضوء في قوله :

" **ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا** "

هذا يعني أن الضوء بالنسبة لشمس ينبعث من داخلها، وبالنسبة للقمر ينعكس عليها، ووصفت الشمس بالسراج لكونها تبعث مع الضوء حرارة، ووصف القمر بالإنارة لأنها لا تبعث مع الضوء حرارة .

الإعجاز التشريعي في القرءان : إن العرب في بادية الصحراء كانوا يعيشون أقصى درجات التخلف، مجتمع كهذا كي يتطور ينبغي أن يمر بمراحل منها التمدن بالعمران، ثم خطوة التحرر من الأمية، فالثقافة، ثم بناء علاقات اجتماعية واقتصادية ولما تتعقد العلاقات تأتي مرحلة صياغة القوانين التي تحكمهم . ونجد أن كتاب الله نزل على العرب في أول درجاتهم في التقدم، ونتأمل في كتاب الله نجد أدق القوانين التي تحكمهم منها قانون العقود، ونجد خطوط تفصيلية للأحكام الاقتصادية والاجتماعية والعقوبات وما إلى ذلك و يخيل إلينا أنه نزل في مجتمع في أعلى درجات التقدم . هنا يكمن الإعجاز التشريعي في القرءان .

(الدرس 21)

دليل التجربة والمشاهدة على أن القرءان يتصف بالإعجاز :من خلال سلسلة من الآيات في القرءان يتبين دليل التجربة والمشاهدة في القرءان وهي :

ـ طلب المشركون من رسول الله أية أي دليلا على نبوته فأنزل الله تعالى قوله :" وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ ۖ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ " فأجابهم أن الدليل الساطع هو هذا الكتاب الذي يتلى عليهم .لما سمعوا هذا كان جوابهم :" **قالوا سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين** " فتحداهم البارئ بقوله :" **وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ** فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ " وأضاف البيان الإلهي قوله :" **قل ولئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرءان لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا** "**أي** معينا، أيضا تحداهم الله عز وجل بقوله :" **أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين** " هنا المشركون صمتوا ولم يستطيعوا أن يحيروا جوابا، ولو يستطيعوا أن يأتوا بشيء مما قالوه من قبل، وإنما التجئوا إلى قولهم أن هذا سحر ونحن لسنا سحرة :" **ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وإن به كافرين** " إذا نحن أمام دليل التجربة والمشاهدة أن هذا القرءان أعجز المشركين عن أن يأتوا بسورة أو آية، مثله . وبقي هذا التحدي يخترق الأجيال والقرون إلى يوم الدين .

ملخص عن باقي المعجزات :

ـ معجزة الإسراء والمعراج : ونقرأ عنها في كتاب الله، وتحدث رسول الله عنها للمشركين دليل نبوته .

ـ معجزة انشقاق القمر ونقرأ ذلك في كتاب الله :" **اقتربت الساعة وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر**" وأحاديث انشقاق القمر بلغت أكثر من مبلغ أحاديث التواتر، والإمام ابن كثير وهو المحدث في تفسيره، وفي تفسيره لسورة القمر ذكر طائفة من الأحاديث والتي بلغت في مجموعها مبلغ التواتر .

ـ نبع الماء من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ذلك في منصرفه من غزوة وعلى مرأى ثلة من أصحابه لهذا بلغ الحديث عن هذا مبلغ التواتر.

- حنين الجدع يوم الجمعة والناس كلهم مجتمعون بالمسجد، وكان قد أبعد الجدع الذي كان يستند إليه رسول الله أثناء خطابه لما بني له منبر، وسمع الجميع أزيزا ينبعث من الجدع، فنزل رسول الله وقطع خطبته واستلم ذلك الجدع واحتضنه إلى أن سكت .

موقف العلم من المعجزات والخوارق :

هناك في هذا العصر من يقول أن الإيمان والأخذ بهذه المعجزات يتعارض مع العلم ، وهذا التوجه ليس داخليا في مصدره وأصله، وإنما مصدره أصابع أجنبية لعبت وعبثت ببعض من العقول الإسلامية .وخلاصة الأمر أن بريطانيا لما احتلت مصر وجدت القيادة الفكرية والعقلية والدينية وحتى السياسية في مصر بيد الأزهر .هنا كيف السبيل بأن تهيمن بريطانيا على ذلك الوادي في حين أن القيادة بيد الأزهر؟ وقال قائد بريطاني " لورد لويد"وهو المندوب السامي لمصر آنذاك يقول في مذكراته :" إن التعليم الوطني عندما قدم الإنكليز كان بقبضة الجامعة الأزهرية الشديدة التمسك بالدين والتي كانت أساليبها الجافة تقف حاجزا في طريق أي إصلاح تعليمي، وكان الطلبة الذين يتخرجون من هذه الجامعة يحملون معهم قدرا عظيما من غرور التعصب الديني، فلو أمكن تطوير الأزهر لكانت خطوة جلية الخطر " فليس من اليسير أن نتصور لنا تقدم طالما ظل الأزهر متمسكا بأساليبه هذه، ولكن إذا بدى أن مثل هذه الخطوة ليس من اليسير تحقيقها فحينئذ يصبح الأمل محصورا في إيجاد التعليم اللاديني والذي ينافس الأزهر حتى يتاح له الانتشار والنجاح " هذه باختصار الخطة التي رسمتها بريطانيا لانتزاع القيادة من الأزهر . والعدة التي استعملتها بريطانيا لتحقيق ذلك ووضع الأزهر تحت إبطها ؟ استغلت بريطانيا نقطة الضعف التي كان العرب والمسلمون آنذاك يعانون منها وجاءت لسببين اثنين:

أولا العالم الإسلامي حديث عهد بانهيار الخلافة الإسلامية .

ثانيا : أوروبا آنذاك كانت قد هبت وازدهرت بتقدمها وبدأت تعلو صعدا، والعالم العربي والإسلامي في تراجع . ولهذا أخذت بريطانيا توحي إلى المصريين الذين كانوا يتطلعون إلى حال التقدم الذي تتصف به بريطانيا، وتوحي إليهم قائلة عليكم أن تطوروا الدين كما طورناه نحن أيضا فتطورنا، حيث أننا فصلنا الدين عن الغيبيات، وجعلنا الدين عبارة عن مجموعة شرائع، ومجموعة سلوكات أخلاقية يمارسها الإنسان بينه وبين ربه، أما الغيبيان والخوارق فإنها بعيدة عن العلم .فانطوت هذه الأفكار على طائفة من العرب والمسلمين آنذاك، فنصبتهم مسئولين في الأزهر مثل "

مصطفى المراغي " رئيسا للأزهر و" محمد فريد وجدي " نصبته رئيسا لتحرير أكبر مجلة في العالم العربي والإسلامي وهي " مجلة نور الإسلام" التي يصدرها الأزهر، بعد أن كان رئيسها ذلك العالم الجليل الرباني " محمد الخضر ..."وهكذا جعلت زمام الأمور بالأزهر رجال انطوت عليم حيلة البريطانيين . ومحمد وجدي بدأ يكتب مقالات في تلك المجلة عنوانها " سيرة محمد تحت ضوء العلم والفلسفة "ومهمته فيها إبعاد المعجزات والخوارق والكرامات عن سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم . و" محمد عبدو" تأثر تأثرا كبيرا بهذه الأفكار بعد ان كان الرجل الذي يقف في وجه بريطانيا، وله تفسير غريب لنبي يقول في كتاب له في العقيدة يقول " قد يعرف النبي بإنسان فطر على الحق علما وعملا أي لا يعلم إلا الحق ولا يعمل إلا به بمقتضى الفطرة، ولا يحتاج فيه إلى الفكر والنظر، وإذا دعى إلى ما فطر عليه فهو رسول أيضا " ويريد أن يقول أن العمود الفقري في النبوة والرسالة هي الفطرة وليس الوحي . وجيء بكاتب اسمه " محمد حسين هيكل "طُلب منه أن يؤلف كتابا في سيرة رسول الله أفرغه عن كل ما يُشعر بنبوته وسماه " حياة محمد"وتخلى عن عبارة صلى الله عليه وسلم باعتباره كتاب علم، وأفرغه عن كل ما يدل عن نبوته صلى الله عليه وسلم .ولما أفرغ من كتابته طلبت بريطانيا إقامة حفل كبير بالأزهر لنشر الكتاب، فجاء " مصطفى المراغي " وأقام هذا الحفل لتعريف بالكتاب الذي ظهر، في تلك الفترة أخذت تروج صفات جديدة لا عهد لنا بها لرسول الله صلى الله عليه وسلم مثل العبقرية العظمة القيادة المهارة ... كلها استعملت لتكون حاجزا بيننا وبين شخصية محمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا، هذا هو المنهج الذي ظهر في أوائل القرن الماضي تحت أسم " الإصلاح الديني والذي قادته بريطانيا، والتي عهدنا منها أن الشيطان يتعلم منها المكائد، وبحسب الظاهر نجحت بريطانيا في خطتها حيث نجد أن هذا الفكر انتشر انتشارا كبيرا في مصر، ولم تستطع الأفكار المستقيمة المتمسكة بالعلم حقيقة أن تقف في وجه هذا المد البريطاني .كلام لمستشرق بريطاني اسمه " جيب " وهو منبسط على أن الإسلام كان خطر فأزيل حيث يقول في كتاب له اسمه " إلى أين يتجه الإسلام " " لقد استطاع النشاط العلمي والثقافي عن طريق المدارس العصرية والصحافة وتعليماتنا الخاصة أن يترك في المسلمون ولو من غير وعي منهم أثرا جعلهم يبدون في مظهرهم العام لدينيين إلى حد بعيد، ولا ريب أن ذلك هو اللب املثمر لكل محاولات الغرب لحرب العالم الإسلامي من حضارته من آثار، فالواقع أن الإسلام كعقيدة وإن لم يفتقد إلا قليلا من أهميته وسلطانه، ولكن الإسلام كقوة مسيطرة على الحياة

الاجتماعية قد فقد مكانه " هذا خيالهم أنه نجاح، ولكن ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين . أسألكم فأقول أين هي ثمار ما أسمته بريطانيا الإصلاح الديني ؟ أين هم الذين إذا درسوا سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم لم يفهموا منها إلا أنه عبقري وعظيم وسياسي وقائد محنك ؟ بل إن كل من يدرس سيرته يدرسها من خلال عبارته صلى الله عليه وسلم .فكتاب حياة محمد لا أحد منا يعرفه بل قضي عليه . ومنه علينا أن نعتقد أن خطط الكيد كلها قد تجتمع لكن مآلها إلى الاندثار . وكتاب الشيخ في فقه السيرة أداة خانقة للأفكار التي تريد بريطانيا ترويجها عن شخصية محمد صلى الله عليه وسلم .والسر في صفاء العقيدة في قلوب المسلمين وحقيقة نبوة محمد في قوله تعالى :" **يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون**" والمسلمون أمامهم منهج عليهم أن يتمسكوا به ويدينون له وهو الميزان العلمي ونتساءل ما موقف العلم من المعجزات ؟ والعلم هو التجربة المادية التي تكشف لك عن ظاهرة تجعل منها قانونا مثل قانون تمدد الأجسام بالحرارة، وإذا سألنا العلم عن النار التي لا تحرق أو عن الإنسان الذي مات ثم عاد إلى الحياة بعد أيام ... يقول لنا العلم هذا ليس من اختصاصي . العلم لا يتدخل في أمر غيبي نفترضه لم يحصل بعد، لأن كثير من الأشياء وقعت لم تكن لنا فيها توقعات بأذهاننا . يوجد كتاب ضخم الآن اسمه غرائب العالم جمع فيه جميع الغرائب التي وقعت معظمها بالغرب شيء لا يتفق أبدا مع الظواهر العلمية المجردة، العلم يدرسها إن اتفقت معه تبناها وإلا تركها .إذا المعجزة لا تتعارض مع العلم، وتعريفها أنها شيء خارق للعادة أو المألوف .

(الدرس22)

عن علاقة العلم بالمعجزة نقول : إن كلمة العلم تطلق ويراد بها أحد معنيين :

أولا: قد تطلق على العلوم الطبيعية وهو المصطلح الشائع بالغرب الآن وهو دراسة الظواهر المادية واستخراج قانون منها . وإذا سألنا العلم ما موقفك من الخوارق والمعجزات ؟ كان جواب العلم أن لا علاقة له بشيء لم يقع بعد، وإنما يحلل ويعلل الظواهر الموجودة ويستخرج منها قاعدة . ويقول العلم لا شأن لي بالخوارق والمعجزات، وإنما عند وقوعها أسعى لتحليلها وبيان سبب وجودها.

ثانيا : المعنى العام للعلم هو إدراك الشيء على ما هو عليه بدليل، سواء كان المعلوم أمر مادي أو غيره . وإذا سألنا العلم بمعناه الثاني هذا ما موقفك من الخوارق والمعجزات ؟يقول العلم سبق وأن

سألتني عن وجود الخالق وكان جوابي لك أن العلم يجزم بأن هذا الكون لابد له من خالق الذي هو وحده لا شريك له . وسبق أن ذكرنا أدلة وجود الخالق، حيث افترضنا أن هذا العالم قديم لا أول له فكيف يكون الكون بحاجة إلى خالق ؟والعلم يقول لنا أن تسلسل العلل غير الذاتية إلى ما لانهاية مستحيل، وإذا قلنا أن هذا الكون توالد بعضه عن بعض إلى ما لانهاية فقدم العالم بهذا الشكل مستحيل ... وذكر هذا مع الأدلة الرياضية و الفلسفية والطبيعية عن هذا . ثم افترضنا أن العالم كان معدوما ثم وجد عن طريق التفاعل الذاتي عن طريق الانفجار الأعظم وذكرت الأدلة العلمية التي تمزق هذا الافتراض .وقلنا رجحان شيء على شيء بغير مرجح مستحيل، وقلنا التفاعل الذاتي ممكن بين أمرين موجودين . ومنه فالعلم يقول إذا علمت موقفي من وجود الله عز وجل كيف أنكر إذا الخوارق .فالله تعالى هو واضع قوانين الأشياء وسننها، وخالق الأشياء يغير نواميسها كيف يشاء فهو خالق الاحتراق بسبب النار وعندما يشاء يجعل من هذه النار لا تحرق وهكذا...إذا المعجزة لا تتعارض مع العلم بمعناه الطبيعي أو العام .

ـ فالعلماء فيما مضى كانوا يسمعون بالعلم ولا يدركون حقائقه بسبب عدم تطور العلوم آنذاك، لهذا وجدنا علماء أمثال المراغي وفريد وجدي سرت عليهم تلك الأكاذيب التي أتت بها بريطانيا فخدعتهم ببوارق الألفاظ، إضافة إلى معانات المسلمين آنذاك من سقوط الخلافة بالمقابل نهضة أوروبا لهذا أصيب المسلمون بانبهار ، لهذا خدعوا بهذه الألفاظ .ولنتأمل كلام قاله فريد وجدي رئيس تحرير مجلة نور الإسلام بالأزهر :" إن الشرق الإسلامي لما رأى دينه ماثلا في عالم الأساطير التي قذفت فيه الأديان جملة بيد العلم الحديث الغربي، لم ينبت بكلمة لأنه رأى الأمر أكبر من أن يحاوره لأنه استبطن الإلحاد وتمسك به متيقنا أنه مصير إخوانه كافة متى وصلوا إلى درجته العلمية "إنها تنبؤات العقل الصغير جدا جدًا لفريد وجدي والذي افترسته بريطانيا والواقع الذي يعيشه العالم الإسلامي اليوم وموقف العلم من الإسلام اليوم .وكتب ومقالات أمثال هؤلاء هي التي ألقيت في عالم الأساطير.

لنرى قول وليام جونس عن الخوارق باسم العلم وهو بريطاني :" القدرة التي خلقت العالم لا تعجز عن حذف شيء منه أو إضافة شيء إليه، ومن السهل أن يقال عنه إنه غير متصور عند العقل وهذا الذي نقول عنه غير متصور ليس متصور إلى درجة وجود العالم " هذا يجعلنا نتفاءل ونجد أن العلم يسجد للخوارق والمعجزات الربانية التي جهز بها أنبياءه ورسله، وإسلامنا يتألق اليوم

بالعلم ودلائل الفلسفية وتطورات الاجتماعية، والعالم اليوم يتألق بالإسلام .لهذا نجد القيادات الغربية اليوم تسابق الزمن وتحاول أن تقضي عليه قبل أن يتألق بمجتمعاتها .وهذا ما يجعلنا نطمئن والخط البياني للإسلام في تصاعد .

ما حقيقة المعجزة في ميزان الدين والقرءان :

إن موقف العلم من المعجزة عرفناه . وهناك من يستدل بآية في كتاب الله عز وجل ويقول أن القرءان نفسه ينفي وجود الخوارق والمعجزات في قوله تعالى :"**وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا أو تسقط السماء علينا كما زعمت كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرأه .قل سبحان ربي وهل كنت إلا بشرا رسولا** "وهناك من يقول أن النبي هنا يقول أنه بشر مثلنا وما له قدرة حتى يأتي بهذه الخوارق كلها، إذا لا وجود لخوارق . الجواب عن هذا أن ربنا سبحانه وتعالى حكيم ويعلم ما تستبطنه النفوس .وهؤلاء المشركين طلبوا هذا من رسول الله على سبيل الاستهزاء والسخرية، ولهذا كان ذلك الجواب أي ما أنا إلا بشر رسولا ولست إلها وبين البارئ سخريتهم بقوله :" **ولو فتحنا عليهم باب من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون** " يعني هؤلاء كذابين ودليل على هذا أن البارئ عز وجل لما طلب منه بعض المشركين من رسول الله أن يدعو ربه فيشق القمر بنصفين ووعدوا أن يسلموا، وكان طلبهم على سبيل الجد .البارئ عز وجل استجاب .ولكن تغلب عليهم العناد بعد ذلك وقالوا لا هذا سحر فلم يؤمنوا.

فالخوارق موجودة وذكر كثير منها في كتاب الله أو في أحاديث متواترة .وعلينا نحن المسلمون أن نعلم عن المعجزات ما يلي : أول المعجزة من حيث هي علينا أن نؤمن أن الله جهز الرسل والأنبياء وجهز سيدنا محمد بخوارق لإثبات نبوة كل واحد منهم ومن أنكر ذلك فقد كفر .

ثانيا هناك معجزات وردت من آحاد ولم تبلغ درجة التواتر مثل كثرة الطعام ببيت جابر يوم الخندق، من أنكر هذه لا نكفره .

النبوة منحة إلهية ولا تأتي عن طريق الكسب: لقوله تعالى :" **الله أعلم حيث يجعل رسالاته** "

من الملَحدة خاصة الدارسين لعلم الاجتماع يجلسون ويكتبون ما يتخيلون قائلين أن في المجتمعات القديمة كانت مهنة الكهانة وتكون بالكسب فتطورت إلى التنجيم، ثم تطورت المجتمعات

فارتقت مهنة التنجيم إلى السحر والذي كان في عصر الفراعنة وكان فنا راقيا، ثم إن السحر تطور إلى النبوة .هذا كلام باطل من الدجالين، ولا دليل لهم على هذا الذي قالوه وهو أمر وهمي خيالي ومخرقة لا برهان لها بشكل من الأشكال .ومن اعتقد أن النبوة تأتي عن طريق الكسب فقد كفرو خرج عن الملة .

(الدرس 23)

الفرق بين الإسلام والإيمان :

إذا آمن الإنسان إيمانا حقيقيا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ونطق بذلك لسانه، واستسلم لفريضة الصلاة والصوم والزكاة والحج ونطق بذلك لسانه فقد تكاملت حقيقة الإسلام عند ذلك الإنسان، أي أصبح مسلما، ولكن هل يقال عنه مؤمنا أيضا ؟ نقول هنا أن الذي يصدق على الإسلام غير الذي يصدق على الإيمان وبينهما تلازما دائما .فلا الإسلام ينجي الإنسان يوم القيامة بدون إيمان، ولا الإيمان ينجي الإنسان يوم القيامة بدون إسلام .وتعريف الإسلام هو أن يستسلم ظاهر الإنسان بأركان الإسلام، بنطق الشهادتين والاستسلام لفريضة الصلاة والصوم والزكاة والحج، أي تقر بفرضيتها .هذا الظاهر إن تلبست به فهو الإسلام، أما اليقين بهذه الأمور واستقرارها في قلبك فهذا هو الإيمان .الحكم على الإسلام شرطه الإطلاع على الظاهر، والحكم على الإيمان شرطه الإطلاع على القلب . لنفرض أن رجلا في حياته لم ينطق بشهادة الإسلام ولم يستسلم لفرضية أركانه، لكن ليس استكبارا، وإنما لعدم وجود من يوجهه لعيشه في مكان منقطع عن الناس، ولكن ضميره ممتلئ بشهادتين ويعلم بفرضية الأركان، في دار الدنيا لا نحكم عليه أنه مسلم ،وعن يوم القيامة فإن جمهور المسلمين قالوا أنه يعد ناجيا ومسلما.أما المستكبر رغم يقينه فلا نجاة له لقوله تعالى:"**وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا**"ومنه نقول أن من مات في دار الدنيا غير مسلم ليس شرط أن يكون في محكمة الله تعالى غير مؤمن .أي علينا بالظواهر والله يتولى السرائر .

قسم الكونيات

ويقصد بالكون أي المكون المخلوق، والمكونات هي المخلوقات، وكل ما عدى الله عز وجل فهو مخلوق من سموات والأرض وما بينهما والإنس والجن والملائكة والحيوانات هي المكونات .وفي القرءان هناك أمور كونية أنبأنا الله تعالى عنها ومن تم يجب أن نعلم حديث الله عنها ونؤمن بما أخبرنا الله عز وجل عنها .وهي أربعة أقسام الإنسان ـ الجان ـ الملائكة ـ وقانون السببية في الكون .

1.الإنسان:لنبين ما قاله الله عز وجل عن الإنسان :

1. الإنسان أفضل مخلوق وأشرفه : على المسلم أن يعلم ذلك وهذا من خلال آيات واضحة صريحة تحدث فيها القرءان عن شرف الإنسان بين المخلوقات حيث قال عز وجل :" **ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا** " وقال البارئ أيضا :" **وإذ قلنا للملائكة أسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس** " وهو سجود تكريم لا سجود عبادة . وقوله أيضا سبحانه للملائكة :

" **فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فَقَعوا له ساجدين** "هذه النسبة التي شرفنا الله عز وجل بها حيث جعل أرواحنا منسوبة إليه دليل ثالث على المكانة السامية التي يتبوأها الإنسان عند مولاه وخالقه سبحانه وتعالى هذا محل اتفاق . لكن تساءل العلماء هل الإنسان مفضل أيضا على الملائكة الذين مدحهم الله تعالى في كتابه وقال عنهم :" **لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون** " بينما نحن يصدر منا العصيان والشرود عن الأمر وارتكاب النواهي ... الجواب عن هذا السؤال : في هذه المسألة بالنسبة لمقارنة الإنسان بالملائكة اختلف العلماء، فمنهم بدءً بالصحابة من قال لا الملائكة أفضل من بني البشر مطلقا واستدلوا على ذلك بقول المصطفى صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي الصحيح :" أنا جليس من ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير من ملئه" وهذا الملأ الخير هو ملأ الملائكة بالإضافة إلى مدح الله تعالى ملائكته كما تقدم في الآية، وهناك جمهور من العلماء في العقيدة ذهبوا إلى تفصيل وقالوا : الناس المتميزون من البشر منهم الأنبياء والصديقين أفضل من المتميزون من الملائكة، وعوام البشر من المسلمين الصالحين أفضل من عوام الملائكة واستدلوا بهذا

ـ بقوله تعالى وهو يتحدث عن المؤمنين عامة :" **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولائك هم خير البرية** " والبرية أصلها البريئة أي المخلوقين.

ـ الدليل الآخر للجمهور وهو دليل عقلي مصدره القرءان وهو أن البشر ركب فيهم نوازع بشرية من غريزة وشهوات والأهواء التي تجمح بالإنسان إلى ارتكاب المعاصي والشرود عن أوامر الله، في حين أن الملائكة ما ابتلاهم الله عز وجل بشيء من هذا وطاعتهم عملية فطرية لا يتأتى لهم أن ينفكوا عنها مثل عملية الشهيق والزفير للإنسان ، بينما الإنسان الذي حمل قيودا من هذه المشاعر الغريزية الحيوانية التي تهتاج به ،عندما يتحرر منها ويستجيب لأمر الله عز وجل يكون قد بدل

جهدا كبيرا وقد ارتقى إلى مستوى الجهاد، وهذا هو الجهاد الذي ذكر في الآيات المكية قبل شرعة الجهاد القتالي والذي يعني جهاد النفس، ومن تم فإن خواص البشر خير من خواص الملائكة، وعوام البشر الصالحين خير من عوام الملائكة . وماذا عن الملاحدة والفسقة والتائهين، نعتبرهم غير داخلين في صفة التكريم التي أهملوها باختيارهم وإتباعهم أهوائهم و رغائبهم وأهملوا أوامر الله ونصائحه ومن تم هبط من سدة التكريم إلى وصوله إلى أسفل السافلين .

2. الإنسان من حيث الجنس من عنصر التراب ومن حيث المصدر من سيدنا آدم عليه السلام : وهذا في قوله تعالى :" **يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإن خلقناكم من تراب ثم من نطفة** ...." الإنسان بعد موته يدفن في التراب ويتحول إلى تراب دليل على أنه مخلوق من تراب، الدورة الغذائية تتكون من التراب وتطور إلى أن ترجع إلى التراب .أحد الملاحدة أخذ في جدال عن كلام الله تعالى في قوله عن خلق الإنسان ويقول أحيانا يقول مخلوق من تراب، وأحيانا من صلصال ومرة من حمأ مسنون ومرة من طين لازب ما هذا التناقض؟ نقول هذا التناقض يشبه من يقول أن هذه الدار بنيت من تراب ومن طين ومن أجور. نقول لهذا أن التراب هو العنصر الأساسي للإنسان والصلصال هو الطين اليابس وطين لازب طين بقي مدة طويلة تغير شكله ثم تحول إلى صلصال .

مصدر خلقة الإنسان من سيدنا آدم، هنالك من يتساءل عن الجَنَة التي خلق فيها سيدنا آدم هل هي نفسها التي سندخلها أم غيرها ؟ ويقولون من عرف الملائكة أن الإنسان سيفسد في الأرض ويسفك الدماء . كلها أسئلة لا حاجة للإنسان إليها ولم نكلف أن نوجع رؤوسنا بها، ولن نسأل عنها يوم القيامة .ولو كان في علمنا لذلك خير لذكره لنا .أم عن الملائكة وعلمها عن الإنسان أن الله تعالى لما أخبرها أنه سيجعل في الأرض خليفة، أعلمهم بمزايا هذا الإنسان، وأنه سيكرمه بشيء من صفاته، وبعلم من علوم الله تعالى، وسيمتعه بشيء من القدرة التي هي قدرة الله، وسيمتعه بشيء من الأنا التي هي من كبرياء الله حتى يعمر هذا الكوكب، ويبين له شرعته ويجعله في حرية من أمره لاختيار السبيل الذي يشاء، فإن استجاب لأوامر الله كان له الجزاء الأوفى، فإن لم يستجيب فله العذاب يوم القيامة، وبهذه المقومات فالإنسان مخير بين أن يجعلها سببا للفساد أو التقويم في الأرض، وهذا ما دعا الملائكة أن تقول ما قالته لأن لا ضمانة لتقويم الإنسان واستقامته مثل الملائكة .

3. الإنسان مخلوق مند نشأته على أحسن تقويم:ودليل ذلك في قوله تعالى :" **ولقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم**"

وهذا من أول سلالة للإنسان إلى آخر سلالة وعرفنا ذلك من " أل " لأنها للاستغراق في جنس الإنسان . وقوله تعالى :" **وهو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم** " وإيماننا بوجود الله تعالى وبأن القرءان كلام الله تعالى حيث يقول :" **يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك** " ومن ترك هذا الكلام وراح يَهْدِي بما يقوله أصحاب النظريات فقد ترك العلم ولحق الترهات، حيث بوضعنا إياها في ميزان العلم وتبين بطلانها وعدم يقين أصحابها بها، ازدادنا يقينا بعد يقين بهذا الذي يقوله الله سبحانه وتعالى .

(الدرس 24)

في منهجنا في البحث عن الحقيقة إذا كان أمر محسوس فسبيل إليه التجربة والمشاهدة، أما الأمور الغيبية فسبيل فيها الخبر اليقيني الصادق والمتواتر .وخبر القرءان هو اليقين عن مصدر نشأة الإنسان مند أقدم العصور .

جاءت نظريات التطور متعاقبة واحدة تلغي الأخرى منها نظرية "لامارك" في تطور الإنسان واستنتاجاته ذلك من أصناف من الحيوانات، حيث قال أنه ضمرت فيه حواس لعدم احتياجه إليها، ولكن تصوراته خاطئة لكونها ولدت هكذا مند نشأتها .جاءت نظرية داروين الذي قرأ مقال كبير لعالم اقتصادي اسمه "مالتوس"قال أن الحيوانات تتكاثر تكاثرا هندسيا بشكل عجيب، مثلا أنثى الفيل تضع في عمرها ست صغار وعلى هذا المنوال فإن سبع مائة فيل تلد تسع عشرة مليون فيلا خلال سبع مائة وخمسين سنة، وعلى هذا قال إن العالم تهدده مجاعة كبيرة لأن الأقوات محدودة ولا تتكاثر بهذا الشكل في حين أن الأفواه التي تحتاج إلى الطعام من حيوانات تتكاثر بشكل هندسي غريب وعجيب، ولم يقرؤوا قوله تعالى :" **وأودع فيها أقواتها في أربعة أيام سواء لسائلين** " فادروين قال:" مالتوس مخطئ هل كل صغار الفيل تعيش ؟ لا بل هنالك ظاهرة الصراع على البقاء وفي خضم ذلك تكون الحياة للأقوى وللأصلح وشرح قائلا : أن الحيوانات مند أقدم العصور متفاوتة في قدراتها ومزاياها، فالضعيفة تخلفت ثم بادت، أما القوية صارعت أسباب الدمار

فتطورت، وكان أقوى حيوان الذي يملك قدرة على البقاء كان ذلك الحيوان الذي تطور فآل إلى إنسان . هكذا قال في كتاب له اسمه " أصل الأنواع" واستند إلى الأدلة التالية :

ـ قانون البقاء للأقوى وللأصلح والحياة منافسة .

ـ علم التشريح المقارن حيث قارن بين الهيكل العظمي للإنسان المخ والقلب والدورة الدموية وحيوانات أخرى فوجد تشابها كبيرا مما يدل أن أصل كل هذه الخليقة أصل واحد .

ـ اعتمد أيضا على علم الأجنة في الأرحام حيث قارن بين الأجنة في الإنسان والأجنة من حيوانات أخرى، فوجد أن تطورهما نفسه وأكبر دليل هو الذيل الذي في المؤخرة عند الولادة يختفي بالنسبة للإنسان ويبقى عند بعض الحيوانات . بناء على ذلك قال أن العامل الذي طور الإنسان وجعله يصل إلى هذا المستوى إنما هو قانون الاصطفاء الطبيعي،الذي ينهض على قانون البقاء للأقوى والأصلح مع الاعتماد على علم التشريح المقارن وعلم الأجنة . وبعد ذلك درسوا كتاب أصل الأنواع وجهوا انتقادات لنظرية داروين بعد أن صفقوا لها واعتمدوا عليها .والانتقادات التي وجهت لنظرية هي :

ـ أنت تقول أن البقاء للأصلح وهذا محور الأدلة التي تعتمد عليها وأن هنالك تنافس على البقاء والحيوانات متفاوتة في القوة، ونحن ننظر إلى الحيوانات المختلفة بدءً بالهلاميات إلى أعلى سلم نجد الساحة تستقبل الكل، فأين البقاء للأصلح .

ـ الانتقاد الثاني قالوا له ننظر فنجد أن الخسائر التي تطرأ على الحيوانات الحية أكثرها لا علاقة له بالصراع الذي تقول وقولك أن البقاء للأصلح، حيث نجد عوامل طبيعية قضت على الحيوانات القوية في حين أن الضعيفة هي التي تشبثت بالبقاء .

ـ وقالوا له أن الموت منجل يأتي على القوي والضعيف وهذا القانون يتعارض مع قولك أن البقاء للأصلح، وقالوا له أن الحيوانات الضعيفة تعلم بضعفها لهذا لا تغامر، بينما القوية هي التي تغامر ومن تم فإن الموت يترصدها أكثر من الضعيفة هذا عكس ما تقول .

ـ قالوا له نحن وقفنا عند قانون الاصطفاء فوجدنا أنه يعيش في الفكر وهو غائي .

ـ إن وقاية الحياة من أن يتسرب إليها ضعيف لا يستأهل البقاء أيسر على الطبيعة من أن تترك هذه الحيوانات تتسرب إلى الحياة ثم تبدأ فتصحح غلطها في إيجادها، لو كان إيجاد هذه الحيوانات

إلى الطبيعة .أما إذا كان الأمر ليس إلى الطبيعة فلا يمكنها أن تصحح كما لم تستطع أن توجد هذه الحيوانات .

يقول داروين :" إنه لا ينبغي لنا أن نعثر على جواب محدود معين على هذا السؤال إذا ما عرفنا أننا جرما لا يمكننا الجواب على سؤال أقل من هذا تعقيدا... "وبعد ذلك قال "طالما تساءل بعض الباحثين كيف أن أثر الانتقال الطبيعي مادام بارزا إلى الحدود البعيدة القصية لم يستحدث في أنواع معينة تراكيب إن استحدثت فيها كانت ذات فائدة لها، غير أن ما يضاهي بداهية العقل أن نحاول الإجابة على هذا السؤال وأمثاله إجابة بينة، إذا ما قدرنا قيمة جهلنا بتاريخ كل نوع من الأنواع " الرجل يعترف بضعفه وأنه لم يأتي بقرار يثبت حقيقة علمية .

ـ دليل أخر قالوا له إذا كان مبدأ الاصطفاء مبدءًا علميا أي أن الطبيعة تصطفي من الحيوانات ما هو أبقى لتطور وتركن الأخر إلى الانتهاء والعدم ، ونحن نرى في الحيوانات ما هو مؤهل لتطور مثل القردة ولكن نجدها باقية كما هي لماذا ؟ أيضا اعترف بعدم قدرته على الإجابة على هذا السؤال.

ـ قالوا له أيضا هنالك هياكل لحيوانات عثرنا عليها تعود إلى ما قبل العصر الجليدي عند المقارنة بينها ونوع الحيوانات ذاتها اليوم لم نرى أي فرق . لا جواب عن هذا أيضا .

وأخيرا قالوا له ما قاله علمائنا أمثال الإمام الغزالي وابن خلدون قالوا له :" أنت رأيت تشابه بين طائفة من الحيوانات تترقى صعدا من حيوانات هلامية بسيطة جدا منها زاحفة والماشية على اثنين وأربع وهكذا، فخيل إليك أنه قد توالد بعضها من بعض نظرا لتشابه . هل هذا دليل على توالد بعضها من بعض ؟حيث كثيرا ما يكون التشابه موجود منذ القدم وكل عنصر مستقل عن العنصر الأخر .وعلماؤنا يقولون :" ربنا عز وجل بالغ الدقة في خلق الحيوانات، حيث ننظر في عالم الجمادات حيث أدنى شيء منها نجده أنواع، وأعلى نوع من الجمادات يشبه أدنى شيء من أنواع النباتات وترقى هي أيضا صعدا حيث نجد أرقى شيء من أنواع النباتات يشبه أدنى نوع من أنواع الحيوانات، ثم ننظر إلى أنواع الحيوانات فنجد أنها ترقى صعدا حتى نجد الإنسان . وهكذا آلت نظرية داروين إلى المحاق وهي الآن لا تدرس .

جاءت بعدها نظرية داروين الحديثة لعالم هولندي قال أن الإنسان تطور بعامل الطفرة ومعناها أن الحيوان يعيش مدة من الزمن وفجأة أو طفرة يقفز قفزة نوعية فيتطور، ويدخل هذا في مخزن

الوراثة ويعيش مدة من الزمن على هذه الشاكلة في مدة غير معروفة فيقفز مرة أخرى طفرة أي بدون سبب أو عامل مؤثر، حيث أن هذه الطفرات هي التي جعلت حيوانات معينة تتطور إلى إنسان .

ـ قالوا له إذن هناك طفرة ونحن نعلم أن الطفرة أحيانا تكون صاعدة وآنا تكون هابطة، ونحن نبحث عن صيغة علمية تغطي الافتراض القائل أن الإنسان كان فيما مضى ينتمي إلى حيوانات أقل شأنا، ثم تطور هذا الحيوان تطورا تصاعديا إلى أن أصبح إنسانا، نحن لا نبحث عن التطور التراجعي .

ـ وقالوا له نحن نتحدث عن فرضية أن هذه الحيوانات كلها من أصل واحد سابقا، ثم إنها بسبب طبيعي أو بسبب تفاوت بينها بين قوي وضعيف أو بسبب آخر انقسمت إلى أنواع، وأنت تتحدث عن الطفرة فكل نوع يمكن أن تناله الطفرة، لا ضرورة أنها كلها كانت من أصل واحد .

وهكذا فإن هذه النظرية الحديثة أيضا انتهت ولم يحفل بها الغرب . والغرب اليوم ينتظر ولا يريد ترك الافتراض أن الإنسان تطور وهو يبحث عن صيغة علمية . وجاءه هذا من الفراغ الإعتقادي.

ونحن المسلمون قرأنا كتاب الله وآمنا به أنه كلام الله سبحانه وتعالى وتحدث عن أصل الإنسان، وكيف أن الله صاغه على هذه الشاكلة منذ النشأة الأولى ورأيناه يقول :" **ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذا المضلين عضدا**"

هنالك اليوم قانون علمي عمره خمسين سنة أو أقل أو أكثر اسمه علم الجينات أو الكروموزومات أو الصبغيات أو الشريط الوراثي وهو قانون أنهى هذه المشكلة نهائيا مثلما ذكر كثير من المنصفين الغربيون أمثال موريس وغيره، وهو قانون تبين أن صفات الإنسان تنبثق من داخله ولا يتلقاها من الخارج، حيث أن الشريط الوراثي هو خلاصة المشروع الذي جعله الله عز وجل مقدمة بين خلق هذا الإنسان، وكل صفاته الخِلقية والخُلقية موجودة في هذا الشريط الوراثي .وموريس رحمه الله كتب كتاب سماه أصل الإنسان وهو مسلم أخفى إسلامه أنهى هذه المشكلة وبين الحقيقة .

(الدرس25)

بقي في الموضوع طرحنا لسؤال التالي : لماذا ينتقد الغربيون سائر النظريات التي ظهرت إلى اليوم والتي تتحدث من أن الإنسان قد تطور من مخلوقات أقل شأنا ومع ذلك تجدهم يقولون لابد أن الإنسان قد تطورمن سابقا لعصور من مخلوقات أقل شأنا ؟ الجواب أن الغربيون حصروا أنفسهم ضمن احتمالات معينة وما وضعوا في دراستهم كل الاحتمالات الممكنة .ولدراسة مثل هذه القضية

ينبغي وضع أنفسنا ضمن كل الاحتمالات لتحليل الظاهرة، وهكذا ندرس كل احتمال على حدا حتى نصل إلى الحقيقة بالاعتماد على الاستقراء التام . لكن الغربيون ينطلقون من نظرة مادية إلحادية لا تقيم وزنا لخالقية الله عز وجل للكون .ولم يضعوا احتمال خلق الله للإنسان من تراب ضمن الاحتمالات لدراسته، وإنما اعتبروا لإنسان ابن الطبيعة التي أوجدته .ونحن المسلمون درسنا كل النظريات إلى جانب نظرية القرءان مع إيماننا سلفا بالله عز وجل وبأن القرءان كلامه، والعلم يقول أن أي جهاز مصنوع سل صاحبه كيف صنعه ووجدنا أن خالق الإنسان يقول في حوار مع الملائكة :" **وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة** " ويقول :" **خلق الإنسان من صلصال فخار وخلق الجان من مارج من نار** " ويقول :" **ولقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم** "ويقول :" **ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك وبأي صورة ما شاء ركبك**"بناءًا أننا استعرضنا هذه الاحتمالات كلها عثرنا على الاحتمال الأصح فرجعنا مطمئني القلب . والغربيون في قلق دائم ماداموا قد حصروا أنفسهم في استقراء ناقص بحثا عن صيغة علمية لن يجدوها أبدا .والغربيون لهم منهج يسمى بالمنهج الذرائعي يعني أن إرادتك هي التي ينبغي أن تقود اعتقادك وليس العكس .وليام جيمس هو صاحب نظرية براقماتيزم أي الذرائع يقول في محاضرة له في إحدى جامعات أمريكا أمام طلابه وقد وضع نفسه أمام عدة احتمالات قال :" كن مسيحيا هذا الاحتمال حي ادرسه، كن لا أدريا احتمال حي ادرسه، كن بوديا احتمال حي ادرسه، كن مسلما احتمال ميت لا تدرسه " هذا منهج غير علمي وقد ألف كتابا سماه"إرادة الاعتقاد "

أي اجعل عقيدتك عن الكون تابعا لما تريد ولما تحب . ومن المفروض أن أجعل إرادتي تابعا للواقع، أي أنا أنسجم مع الطبيعة وليست الطبيعة تنسجم معي .

. قلنا أن الإنسان اكتشف الشريط الوراثي أو الكروموزومات هذا ينبغي أن يسكتهم، وتبين منه أن كينونة الإنسان منبثقة من داخله وليس من عوامل خارجية تقول أنه تطور . ونظرية الصبغيات توصل إلى الإيمان بالله تعالى إيمانا حقيقيا . وتأتي نظرية الذرائع وتمنعه، وهذا ما جعل الغرب مسجونا في احتمالاته الناقصة وهو يعيش في اضطراب دائم . هذا الوضع جعل كثير من الغربيين يدخلون في الإسلام سرا بأعداد كبيرة جدا .

ولله الحمد على كوننا مسلمين منطلقنا العلم ومنتهانا إليه، ومع العلم نعيش .

2. **الملائكة:** أيضا الملائكة من الكونيات وهي موجودة في حياتنا اليوم رغم عدم رؤيتنا لها، وينبغي لنا أن نعلم ما يقوله لنا الله عز وجل عن الملائكة في القرءان في قوله تعالى :"**آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ...**" ويقول :"**ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاقي** "

- **الصفات التي تتمتع بها الملائكة** والتي تحدث عنها بيان الله عز وجل :

أولها العبودية لله عز وجل وأنهم عبيد مثلنا لله عز وجل حيث يقول الله عز وجل :"**لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون** "وقال :"**وقالوا اتخذ الرحمان ولدا سبحانه بل عباد مكرمون** "

ثانيا وصفهم بالشدة مثلا بالنسبة لملائكة النار قال :" **عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون** "

ثالثا رغم أنهم خلقوا من نور إلا أن الله عز وجل أقدرهم على التشكل عرفنا ذلك من قول البارئ في سورة مريم :" **فاتخذ ت من دونهم حجابا فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا** "وحديث سيدنا عمر في حديث مسلم :" **كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد فجلس يسأل عن الإسلام وعن الإيمان وعن الإحسان وعن أشراط الساعة .. فلما ذهب قال رسول الله هذا جبريل جاء ليعلمكم دينكم** "

رابعا إنهم متقيدون بأوامر الله عز وجل ويفعلون ما يؤمرون .

خامسا لهم أجنحة في قوله تعالى :" **فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسل أولي أجنحة مثنى وثلاثة ورباع ويزيد في الخلق ما يشاء** "

نطرح هنا سؤال هل الملائكة أفضل من البشر الذين يتعرضون للمعاصي وعدم تنفيذ الأوامر، نقول لا، والسبب أن الله عز وجل لم يبتلي الملائكة بما ابتلى به البشر، من نفس أمارة بسوء والشيطان يسوس للإنسان ويمشي فيه مجرى الدم . ومن هنا فإن عامة الناس أفضل من عامة الملائكة، وخواص الناس كرسل والأنبياء أفضل من خواص الملائكة، وإن عصوا .لكون الإنسان قد يعصي الله بسائق ضعف لا بسائق استكبار .

- **وظائف الملائكة** :

أول الوظائف الوحي : حيث جعل البارئ سبحانه وتعالى من الملائكة من وظفهم بنقل الوحي إلى الرسل والأنبياء وهو سيدنا جبريل ويقول عنه :" **نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين** "ويقول :" **يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق** " والروح معناه سيدنا جبريل .

ثانيا حمل العرش : ومن الملائكة حملة العرش، والعرش ليس بحاجة إلى من يحمله والبارئ هو قيوم السموات والأرض . لكن الله عز وجل له مشيئة أن يبين لنا أن هنالك ملائكة موظفون لحمل العرش وما هم بحملة العرش حيث قال بالعبارة الصريحة :" **والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية** "

ثالثا:ملائكة موظفون لاستقبال المسلمين يوم القيامة وهم مبشرين قائلين:" **هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية**" ويقول البارئ :" **وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين**" وخزنتها هم الملائكة والله أعلم بعددهم وقوله تعالى:" **جنات عدن يدخلونها ومن صلح من أبائهم وأزواجهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعمى عقبى الدار**" اللهم اجعلنا من الذين تستقبلهم ملائكة الرحمة آمين يا رب العالمين.

رابعا : من وظائفهم أيضا أنهم خزنة على النار، نسأل الله العفو والعافية، ويقول البارئ :" **سأصليه سقر وما أدراك ما سقر لا تبقي ولا تدر لواحة للبشر عليها تسعة عشر وما جعلنا عدتهم إلا ملائكة ...**"

خامسا :مراقبة أعمال الناس فعن يميننا ملك يسمى الرقيب، وعن يسارنا ملك يسمى العتيد .دورها تسجيل جميع أعمالنا .والبارئ ليس بحاجة إليهما الدليل في قوله تعالى :" **ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه** "وقال :" **ونحن أقرب إليه من حبل الوريد إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا ولديه رقيب عتيد**" نجد أنه قبل حديثه عن الرقيب والعتيد أكد أنه ليس بحاجة إليهما .وهنا المولى عز وجل ألزم ذاته العلية بما ألزمنا به، من التقاضي بالشواهد والبيانات .ومن عدالة رب العالمين أن نجد أعمالنا مسجلة صوتا وصورة :" **ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا**

أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا "وقوله :" هذا كتابنا ينطق عليكم الحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون "

سادسا من الوظائف العجيبة للملائكة المحافظة على الإنسان وهو لا يعلم ذلك، وكم تتعرض لأخطار وأنت تسير في الطريق وتأتي الملائكة وتمنع عنك الأخطار . :" له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله "

سابعا من وظائف الملائكة قبض الروح، في قوله تعالى :" الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها " أي الله تعالى هو الذي يتوفاك ووظف ملك أساسي هو الذي يقبض روحك وقيض له جندا من الملائكة يعينونه في هذه المهمة ودليل في قوله تعالى :" حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون " والرسل هم الملائكة . وفي آية أخرى يقول :" قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون "

(الدرس 26)

3.**الجان** :وهي من الموجودات لهذا فإنها من الكونيات .

ونتحدث عن وجود الجان وأصل خلقتهم، وهذان الأمران هما اللذان ينبغي للمسلم معرفتهما وقد وردا في القرءان ببيان صريح واضح .

. وجود الجان : أنبأنا البارئ بوجودها في آيات كثيرة مثلا في قوله تعالى :" وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون"ويقول البارئ في موضع آخر لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم :" وإذ صرفنا إليك نفر من الجن يستمعون القرءان فلما حضروه قالوا أنصتوا .." ويقول :" قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إن سمعنا قرءانا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا "

ـ أصل خلقته : البارئ يقول :" خلق الإنسان من صلصل كالفخار وخلق الجان من مارج من نار"و المارج هو اللهب الصافي عن الشوائب ويتحول إلى لون فوق البنفسجي وهو ما لا تراه العين . وعلينا أن لا نسأل عن صفاتها كيفية عيشها وغيره من الأسئلة والرسول يقول :" من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه" .إذا يكفينا الإيمان بوجودها وأصل خلقتها .

وهناك من السدج الذين يدعون بسم العلم عدم وجود الجان ونقول لهم باسم العلم :

ـ ليس كل موجود تراه عينك

ـ وكما أن كل موجود يستلزم دليل علمي وكذلك كل معدوم يستلزم دليل . فإن لم تجد دليل للموجود والمعدوم فذلك يسمى جهل .وقولك أنك لا تعتقد بوجود الجان فإنك جعلت من جهلك دليل قرارك .

ودليلنا العلمي على وجود هذه الخليقة هو التالي : سبق لنا أن آمنا بوجود الخالق وبأدلة علمية قاطعة، ونتيجة لذلك آمنا أن هذا القرءان كلامه، وبأن محمد صلى الله عليه وسلم نبيه، والقرءان يحدثنا عن خليقة تسمى الجان خلقت من مارج من نار . وهذا دليل علمي وهو خبر صادق من الله عز وجل .

انتشر لدى الغربيين في عصرنا ما يسمى تحضير الأرواح لشخصيات كانت معروفة أمثال أفلاطون أرسطوا وغيرهم والتحدث معهم، وتكونت جمعيات ومنظمات تتبنى هذه الخرافات، ومن المسلمين المغفلين المتبعين والمقلدين للغرب تقليدا أعمى صدقوهم في هذا . والخرافة تكمن في تصديقهم بأن تلك روح من استحضروه، في حين أن الكون مليء بالأرواح لكائنات غير مرئية من جان وغيره . والشياطين تعمل عملها هنا لنشر أفكارها الشريرة .وهكذا وقع كثير من الغرب وأتباعهم ضحايا للخرافة والأوهام للفراغ الذي يعيشونه . والغريب أن يتبعهم مسلمون حماهم الله من شر هذا الدجل ولكن بسبب عبادتهم للغربيين وأصبحوا ضلالا شاحبة للغربيين / تجدهم يغمضون العين ويسيرون وراء الأفكار الغربية أينما سارت .

4.**قانون السببية في الكون** : هذا بحث علمي ينبغي على كل مسلم أن يعرفه بدقة، وأساس ومصدر أي اعتقاد هو العلم . وعناصر موضوع قانون السببية هي الأمور التالية :

1. استجلاء قانون السببية في الكون :إذا نظرنا إلى المخلوقات التي من حولنا نجد أن كل مخلوق يحتاج لوجوده إلى سبب سابق، وهو في الوقت ذاته سبب لوجود شيء لاحق . مثلا هذه الأبخرة التي تصَّعد من البحار سببها البحار، وهذه الأبخرة سبب لانعقاد السحب التي هي بدورها تحت شروط وعوامل معينة سبب لهطول الأمطار، وهي سبب لاخضرار الأرض وظهور النباتات، وهذه سبب للغداء سواء الحيوانات أو الإنسان وهكذا. وكلما تعمقت في تأملك لهذه الظاهرة تجد أن هذه الأسباب تناقص بشكل مخروطي .وفي الأخير تجد نفسك أمام مسبب الأسباب وهو الله عز وجل .

2. كيف يتفق قانون السببية في الكون مع ما قد علمناه من أن هذا العالم من نوع الممكن

ونحن عرفنا أن العالم من قبيل الممكنات التي كانت معدومة وتنتهي إلى العدم . عندنا قاعدة فلسفية تقول لكل سبب له تأثير حتمي على مسبب، والكون مليء بالأسباب يعني كذلك المسببات كثيرة . ،إذا كان الأمر كذلك فإن وجود هذا العالم ليس من قبيل الممكنات وإنما من قبيل الواجبات.ونحن انتهينا إلى أن المسبب واحد هو الله .والجواب على هذا الإشكال هو التالي :هذا الإشكال وارد إن كنَّ نعني بالأسباب المصطلح الفلسفي لسبب والعلة، وإنما نعني بكلمة السبب الاقتران الذي نراه بين سابق ولاحق وطول اقتران السابق با لاحق سميناه سبب، واللاحق من طول وجوده بعده سميناه مسبب .أي سبب جعله الله تعالى لشيء ما، مثلا هذه السحب ليست سببا حتميا للإمطار، لأن الذي أوجد السحب هو الله تعالى وبتالي فهي ضعيفة لا تستطيع أن تؤثر في غيرها، وكذلك المطر ليس سببا أليا حتميا لنبات، وإنما الذي جعله سببا هو الله عز وجل، إذا الخالق هو المسبب . إذا السبب الذي نعنيه هو ذاك الذي جعله الله تعالى مثيرا لشيء آخر .

(الدرس 27)

هنا نطرح تساؤل ما معنى السبب الجَعْلِ، هذا مصطلح ديني مثلا الطعام سبب لشبع وهو سبب جعله الله تعالى كذلك، ويخلق الله الشفاء مع دواء تناولته إذا أراد وهكذا . أي لا يوجد هناك أي تأثير بين السبب والمسبب، وما جعل الله مثلا في الماء أي قوة اسمها الإرواء، وما جعل في الدواء قوة الشفاء، وعلينا أن ننتبه جيدا لهذا الأمر ويدخل في عقيدة المؤمن .وإذا آمنا بهده القوى جعلنا شريكا لله تعالى فيما خلق و تعالى الله عن ذلك. وإنما تتم هذه الأمور عندما يتم الأكل يخلق الله الشبع، مثلا عند تناول الدواء يتم الشفاء وهكذا بإرادة البارئ سبحانه وتعالى .أي يتم ذلك عند اقتران ظاهر بين سبب ومسبب، وليس نتيجة تأثير قوة .واستمرار لاقتران ليس دليل على حتميته.والمسلمون يعلمون بأن قانون رد الفعل الشرطي ذكره علماؤنا أمثال الغزالي والرازي وابن خلدون وغيرهم، لكن المغفلون الذين أعرضوا عن تراثهم وتاريخهم نسبُ القانون إلى بافلوف .الغزالي سمى القانون بسبق التصور إلى العكس .وبافلوف أراد أن يجعل من هذه النظرية ضجة ورنين في العالم، فجرب على الكلاب وجوعها إلى آخره، واقتران صوت الجرس بالطعام بعد التجربة التي قام بها، وهذا التصور هو نفسه عند الملاحدة عندما يرون اقتران بين النار والاحتراق. وهذا يوصلنا إلى القول أن السابق ليس سببا حتمي للاحق .والذي ربط بين الأمرين هو الله تعالى .

3. ما الحكمة من إخضاع الله تعالى هذا الكون لقانون السببية

نطرح هنا إشكال لماذا ربنا سبحانه ربط بين السبب والمسبب حتى ظن البعض أنه ارتباط حتمي ؟الجواب عن ذلك .أن ربنا عز وجل كان قادرا أن لا يحوجنا إلى الطعام و شراب ورقاد، وكان قادرا عز وجل أن لا يجعل المطر سببا لنبات، والنبات سببا للغداء.ولكن في هذه الحالة لا تستبين ظاهرة تنسيق هادف تدل على وجود مدبر. البارئ عز وجل جعل الأشياء تقترن ببعضها البعض لأجل غاية توصلنا إلى إدراك أن هنالك خطة مرسومة لمصلحتك، واضعها هو الله سبحانه وتعالى .

(الدرس 28)

3. ما الذي يجب على المسلم اعتقاده بناءا على ذلك :

هنا نطرح التساؤل التالي : هل يجوز لأحدنا أن يتعامل في قضايا الكون ونعبر عنها بقانون السببية ؟مثلا أن يقول أحدنا أنا والله استعملت عدة أدوية ولم يفدني إلا هذا الدواء، أو يقول زرت عدة أطباء لم أُشفى إلا على يد هذا الطبيب، وهكذا ألفاظ تتعارض مع ما قلناه وانتهينا إليه .الجواب عن هذا أنه إذا سلكت العقيدة وعرفت أن المسبب هو الله، وأنه خالق الأسباب والمسببات واستقر هذا في قلبك، فإن استعمال هذه الألفاظ لا يضيرك .لأن البارئ في القرءان استعملها في قوله تعالى :" **أمن خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتُ شجرها** "كلها أسباب جعلية وهو القادر على كل شيء .

ربنا سبحانه وتعالى يقول عن رسوله محمد صلى الله عليه وسلم :" **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** " هنا ربي سبحانه جعل محمد واسطة رحمته، لهذا يجوز لنا أن نتوسل بجاه رسول الله لشفاء أو غيره لكونه رحمة من رب العالمين لنا، مع يقيننا القوي أنَّ الشافي هو الله، وهو الذي يقضي حوائجنا كلها . ونظل نعجب من أُناس ينسبون أمور إلى أسبابها الشكلية نقول لا ضير في ذلك إذا سلمت العقيدة مثلا كنسبة الدواء إلى الشفاء، ونسبة المعالجة إلى الطبيب، ونسبة الهلاك إلى حادثة معينة . وإذا أتى من ينسب الشفاء بتوسل إلى الله برسول الله يقول له لا قد أشركت .وهناك من يقول أن التوسل برسول الله مشروعا في حياته، أما بعد مماته فلا، أنت بهذا وقعت في شرك حيث أنك كنت تعتقد أن التوسل برسول الله في حياته يتم بقوة من عنده لا بإرادة وقوة من الله سبحانه . ونحن نقول أن رسول الله لا في حياته أو في مماته له تأثير :" **ليس لك من الأمر شيء** " أي لا يملك

قوة وإنما التأثير من الله عز وجل . وإنما التوسل يتم لمكانته عند الله عز وجل ولمحبة الله عز وجل له وهذا لا ينفك عن رسول الله بعد الوفاة وهو رحمة للعالمين، مع سلامة العقيدة لا ضير من التوسل برسول الله .

والصحابة جميعا لم ينكروا ذلك . وابن تيمية هو أول من قال أنه لا يجوز التوسل، وليس فينا من لا يخطئ وتم الرد عليه .والرسول يقول :" بتربة أرضنا وبريقة بعضنا يشفى مريضنا " وورد في حديث ابن ماجة عن حديث ابن سعيد الخضري رضي الله عنه أن الرسول كان إذا خرج من بيته قال :" اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك، وبحق ممشاي هذا إليك فإني ما خرجت أثرا ولا بطرا ولا رياء ..." نرى أن النبي كان يتوسل بالصالحين وهو حديث حسن . والنبي جاءه رجل ضرير من أصحابه شكا أنه يريد الصلاة بالمسجد ولكن لا يستطيع بما أصاب عينيه من ضر، فقال له الرسول إن تصبر فالك أجر، فشكا إليه أنه لا يصبر . فقال له أسبغ الوضوء وصلي ركعتين وقل :" اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد، نبي الرحمة، يا محمد إني توجهت بك إلى ربك في حاجتي لتقضى اللهم فشفعه فيا ثم سمي حاجتك " الفعال هو الله ومناط التوسل هو مكانة رسول الله عند الله عز وجل ،وهذه رحمة لنا نحن عباد الله .والرسل والأنبياء يتمتعون بحياة أجل وأعظم من الحياة البرزخية .ونجد في قوله تعالى :" **ولا تحسبن الذين يقتلون في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون** "ونحن جميعا نعتقد أن مكانة رسول الله أعظم من مكانة الشهداء . لهذا كانت هذه المزية لحبيبنا رسول الله من التوسل إليه .

تكريم الله تعالى للإنسان : علينا أن نعلم أن الله عز وجل كرم الإنسان بتكريمين اثنين :

التكريم الأول أن الله أسجد للإنسان ملائكته

والتكريم الثاني هو أنه سخر للإنسان ملكوته، ونجد هذا في قوله تعالى :" **ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة و باطنه ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير** " المكونات مسخرة للإنسان قسم منها بدون جهد منه، وقسم ينبغي عليه التعرف عليها ثم استغلالها، وكلما ازداد الإنسان صعدا كلما دل ذلك على وجود الله تعالى

وهناك من الناس من يقدس العلم لدرجة قوله أن الدين لا مجال له في حياة العلم هذه، وهو كلام باطل لا يؤخرك ولا يقدمك، وهي تتنافى وحقيقة الدين . والله تعالى سخر هذه المكونات للإنسان أي كان .ومن سماجة أن يتباهى الجاهل بعلم غيره .

(الدرس 29) قسم الغيبيات

الغيبيات هو ما لا سبيل لمعرفته إلا عن طريق الخبر الصادق من مصدر تتق به، بناءا على هذا التعريف نستطيع أن نجزم أن ما قلناه في قسم الإلهيات عن الله تعالى ووجوده لا يدخل في قسم الغيبيات، لأن معرفتك لوجود الله ليست عن طريق خبر يقول أن الله موجود، وإنما بتأملك للمكونات تستنبط وجود الخالق . ومن الأمور التي لا يكنك التعرف عليها بالحواس منها، الأحداث التي تقع بعد الموت، علامات قيام الساعة، أحداث يوم القيامة من حساب وجنة ونار .

من الناس من يعتقد أن الأمور الغيبية شاردة عن العلم، وهناك من ينادي بهذا الشعار بعقد محاضرات وندوات تحت عنوان ضرورة الابتعاد عن الغيبيات في عصر العلم، وكأن العلم يناقض الأمور الغيبية، لنطرح تساؤل هل ما قيل صحيح ؟إذا كان هذا صحيح فنحن أولى الناس بالابتعاد عنها وعدم التعامل معها .

لنستعمل المنهج العلمي الذي عرفناه للوصول إلى حقيقة هذا الأمر، وهو موجود إن ضبطت نفسك به .

لنجب على السؤال التالي: كيف يمكن أن تكون الأمور الغيبية خاضعة لموازين العلم ؟ للإجابة على السؤال

- **إليكم هذا النموذج** : طبيب تتق به قال لك لا تشرب هذا الماء لأنه ملوث، إن شربته تتعرض للهلاك، وأنت لم ترى شيئا مما يقوله لك هذا الطبيب من دلائل التلوث، ولا دلائل الهلاك نهائيا . قرار الطبيب غيبي لأنه يحدثك عن أمر لم يقع بعد لكنه يجزم أنه سيقع . وما ستفعله أنه إن كنت واثقا من كلام الطبيب ومن دقة معلوماته الطبية ستبتعد من شرب الماء .سواء كنت مؤمن أو غير مؤمن .

نموذج ثاني : علماء العالم في الأرصاد والفلك أخبروا جميعا عن خسوف يظهر في القمر في يوم معين وساعة محددة . عندها تتلقى الخبر بالقبول . سواء كنت مؤمن أو غير مؤمن.

نموذج ثالث : سمعت من المسئولين لمؤسسة الكهرباء مثلا أن التيار الكهربائي سينقطع في يوم كدا وساعة كدا ولمدة كدا، وهذا أمر غيبي تتلقاه بالصدق .

هنا نطرح لك سؤال لماذا تصدق وأنت رجل علم هذه الأمور الغيبية كلها ؟ الجواب لأن المنهج العلمي يقول لك : كل شيء لم يحصل بعد سبيل العلم به هو أن تتلقى خبرا عنه من مصدر موثوق به، ومتخصص بهذا الأمر وتجزم بصدقه . وتجد في الملحدين من يصدق أمور ظنية مثل أخبار نشرة الأرصاد الجوية، وعندما تحدثه عن أحداث ما بعد الموت، يقول لك أنا رجل علم وهذه أمور غيبية . يا عجبا مما يقولون .

لنخضع الأمور الغيبية المتعلقة بالعقيدة للقانون العلمي، مثل ما يجري للميت بعد الموت . حيث جاءنا الخبر ممن خلق الموت والحياة . كيف يعقل أن تصدق خبر الأرصاد الجوية ربما تقع أو لا تقع، في حين أن هذا الذي يأتيك ممن خلق الموت والحياة، لا تقبله وتقول هذا أمر غيبي وأنا رجل علم . أليس هذا موقف متناقض ؟ ونجد أنك تقف موقف خنوع وتصديق كلي لمن يخبرك أن كسوف كلي سيقع في مكان كدا وزمن كدا، وإذا قيل لك هذا أمر غيبي كيف تصدقه ؟ تقول لا !!! هذا علم الفلك قال هذا الكلام . إذا علم الفلك لديه علم بهذا وخالق قوانين علم الفلك لا يملك اليقين بالأمور الغيبية التي يخبرك عنها ،ومن تما أنت لا تصدقها ؟؟ هذا هو الجواب على السؤال.

هنالك منهج علمي إن سلكناه وصلنا إلى معرفة علمية حقيقية للأمور الغيبية، ويتلخص المنهج بأن تتلقى الخبر عنه من مصدر مختص . وثانيا موثوق به وهذا يساوي التصديق العلمي بهذا الأمر .والفرق بين الخبر الذي نتلقاه من مصدر علم الفلك، والخبر الذي نتلقاه ممن خلق قواعد علم الفلك وخالق الأجواء والليل والنهار والأفلاك وغير ذلك . فمهما كانت أخبار علماء الأرصاد الجوية وعلماء الفلك دقيقة، ومهما كانت معتمداتهم علمية وتعتمد على أجهزة علمية دقيقة . فإن إخبارا تهم تبقى في حدود الظن ولا ترقى إلى درجة اليقين، لأن الأمر ليس بيدهم، وإنما بيد خالق هذه المكونات . لكن إذا أخبرك خالق الكون وخالق الأفلاك، وخالق قواعد الأرصاد الجوية بهذا الأمر، فاعلم أن خبره يقيني . وإذا أخبرنا الخالق عن أحداث يوم القيامة، فلا سبيل أن نرتاب فيها، لأن الخبر من خالق هذه السموات مثل قوله :" **أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه بلا قادرين على أن نسوى بنانه بل يريد الإنسان ليفجر أمامه يسأل أيان يوم القيامة فإذا برق البصر وخسف**

القمر وجمع الشمس والقمر يقول الإنسان يومئذ أين المفر "وهذا خبر يقيني وفق قواعد العلم، وجاءنا الخبر من خالق الكون والأفلاك .وغير المؤمن بالله يقول هذا خبرا غيبيا وليس علميا . لهذا نحن في منهجنا بدأنا الحديث عن الإلهيات واعتقادنا التام اليقيني بوجود الله تعالى طبق الأدلة العلمية الكثيرة التي ذكرت، ومن تم الوصول إلى أن القرءان كلامه، ومن أن محمدا رسوله .والأن رأسا نؤمن بالغيبيات لأن أساس ذلك موجود عندنا .لكن غير المؤمن بهذا كله لن يصدق ما نقوله له ، نقول له أنت متفاعل فعلا مع العلم مع نفسك لأنك لم تبدأ مع الموضوع من أساسه، حيث لم تؤمن بالله ولم تتمكن من دراسة النبوات، ونحن إيماننا بيوم القيامة من خبر الله عز وجل .

الإنسان يقرر الأشياء والظواهر والأحداث بناء على قانون الأسباب والمسببات، وفي الأخير الأمر بيد الله تعالى المقدر للأمور لقوله تعالى:**"ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره** "وقوله:" **لا إله إلا هو الحي القيوم**" أي هو القائم على أمر السموات والأرض، وقوله تعالى **:" له مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو** " ومفاتيح الغيب يقصد بها دساتير الغيب، أي الرابطة التي تربط اللاحق بالسابق بيد الله سبحانه وتعالى .لهذا لا يمكنك أبدا أن تجزم بالنتائج مادامت المفاتيح بيد الله سبحانه وتعالى .

الأمور الغيبية تتعلق بثلاثة حقائق هي :

حقائق تتعلق بالموت أي الأمور التي تأتي على أعقاب الموت

ثانيا حقائق أشراط الساعة أي العلامات التي أنبأنا بها الله عز وجل أو أنبأنا بها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في السنة، عن علامات تقع بين يدي الساعة .

ثالثا أحداث يوم القيامة وما سيقع يومها .

(الدرس 30)

1. حقائق تتعلق بالموت أي الأمور التي تأتي على أعقاب الموت :

الموت بحد ذاته هو أمر محسوس مشاهد وإن لم نحس به ،لكن نرى كل يوم إخوانا لنا يرحلون من هذه الدنيا عن طريق بوابة الموت . والموت هو قصة الحقيقة الكبرى في الكون، وهو الذي يسقط به جبروت المتجبرين وعناد الملحدين،وطغيان البغاة والمتألهين،والموت هو الحقيقة التي تحد الله بها سبحانه وتعالى عباده.في قوله تعالى :

" **قل إن الموت الذي تفرون به فإنه ملقيكم** "وكرر هذا بأساليب مختلفة، فهو الذي تحد به عباده إلى قيام الساعة.

إنه التحدي الوحيد الذي برهن به البيان الإلهي على عبودية الإنسان لله، اعترف لسانه بذلك أو لم يعترف وصدق الله العظيم القائل :" **إن كل ما في الأرض إلا أتي الرحمان عبدا لقد أحصاهم وعدهم عدا** "

الأمور المتعلقة بالموت : وهي الأمور الغيبية

أولا ملك الموت وحديث القرءان وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قبضه الأرواح هذا أمر غيبي، حيث أننا نرى الموت ولا نرى كيفيته . ويلي ذلك سؤال الملكين، ثم عذاب القبر ونعيمه .

1. كيف يتحقق الموت ؟ أي كيف ينتقل أحدنا من مرحلة الحياة الدنيوية إلى مرحلة الحياة البرزخية عن طريق الموت . لا شك أن قابض الأرواح هو الله سبحانه وتعالى في قوله :" **الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها** ". وقال الله أيضا :" **قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون** "وقال في مكان أخر :"**إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيما كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض** " الآن نتساءل كيف نجمع بين هذه الآيات ؟سبيل الجمع واضح . الذي يتوفى الأنفس الله، وملك الموت سبب ليست له فاعلية . لكن الله تعالى شاء وهو الحكيم الخبير أن يقيم أحداث هذه الدنيا على أسباب . حيث ألزم نفسه تعالى بما ألزم به عباده وهو علام الغيوب القادر على كل شيء .وعن الآية الثالثة قال العلماء أن هذا الملك سخر له هذه الأرض كوعاء يرى كل ما بداخله، حيث إذا حانت رحلة أحدنا من هذه الدنيا إلى الله سخر الأعوان الذين جعلهم الله جنودا له يعالجون استخراج روحه، ثم إن ملك الموت يقبض هذه الروح فيما بعد أي هنالك ملائكة أعوان لملك الموت يعالجون في استخراج الروح من الجسد وعملهم لا يجدي شيئا . لأن الذي يفصل الجسد عن الروح هو الله سبحانه وتعالى .

لقد وردت أحاديث كثيرة ذكر أكثرها في تفسير ابن كثير عن موضوع قبض الأرواح من حيث الشدة والسهولة، هذه الأحاديث تدل في مجموعها على أن الإنسان الذي قضى حياته وهو ملتزم بأوامر الله اعتمادا على إيمان حقيقي بالله سبحانه وتعالى، حيث كلما زلت به القدم تاب ورجع إلى الله سبحانه وتعالى . إذا انتهت حياته وهو على هذه الشاكلة، فإن الله عز وجل يخفف عليه آلام

السكرات . والعكس صحيح إذا كان الإنسان شاردا عن أوامر الله عز وجل، تائها عن الالتزام بها . وغالبا ما يكون هذا الإنسان مرتابا في حقائق الإيمان بالنسبة لعقله وفكره .فأكثر الأحيان أن يعاني هذا الإنسان من شدائد سكرات الموت، لا يمكن أن توصف . وربما تخلف عن هذا الأمر وكان فيه شدود، وهو ما قاله العلماء . والنبي عليه الصلاة والسلام عانى من سكرات الموت، حيث صح أنه كان يضع يده في إناء به ماء ويمسح وجهه وهو يقول:"**لا إله إلا الله إن للموت لسكرات** "وفي رواية أخرى ربما فيها ضعف أنه كان يقول"**اللهم خفف سكرات الموت على أمة محمد صلى الله عليه وسلم**"

ونقول ما من إنسان مات مهما كان سبب موته لابد أن يعاني من سكرات الموت وإن كانت لحظات، ولابد أن يقبض روحه الملك الذي وكل بهذا، وهذا أمر غيبي .والإنسان الذي يقع في سياق الموت في الغالب يرى ملك الموت.والملتزم قبل رحيله يكرمه الله عز وجل ببشارة تخفف عليه سكرات الموت في قوله تعالى:" **ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة**" ويبشره بأنه يرسل له ملك يريه مقره الذي أعده الله تعالى له في الجنة .

2. **سؤال الملكين :** هذا أمر غيبي وسبيل إلى الإيمان به هو اعتقادنا أن الذي يميتنا هو الله وهو الذي يحيينا، وهو الذي أخبرنا أن هنالك ملكين سأرسلهما لكل واحد منكما بعد الموت، وسيسأله كذا وكذا ... ووصل الخبر إلينا عن طريق التواتر، وطريقة العلمية تجبرنا على أن نصدق ذلك . وكل إنسان أي كان مكان موته وطريقة موته يتعرض لسؤال . ورد في الصحيح أن الله عز وجل يرسل إلى الميت بعد أن يدفن ويذهب أهله عنه، يرسل إليه ملكين مفزعين مخيفين يسألانه عن الدين الذي عاش عليه، وعن موقفه عن هذا الرجل الذي بعث فيهم، والمقصود سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . فالإنسان الذي تبته الله بالقول الثابت في الحياة الدنيا، يجعل الله من استقراره في الحياة الدنيا قوة يجيب بها عن أسئلة الملكين . فيجيب الله ربي ومحمد نبي وعشت ومتت على هذا الدين، دون خوف أو تردد . أما الذي قضى حياته في هذه الدنيا متقلبا في أهوائها وشهواتها معرضا عن نداء الله عز وجل، وختمت حياته هكذا، فإن هذا الإنسان يفيض قلبه فزعا من هذين الملكين، ويقول لا أدري . وهذه هي حقيقة القبر، والأحاديث التي ذكرها رسول الله عن هذا كثيرة جدا منها ما رواه البخاري ومسلم كل منهما في صحيحيهما أن رسول الله

صلى الله عليه وسلم أنه صلى بالناس يوما صلاة الاستسقاء ثم قام فخطب حمد الله وأثنى عليه ثم قال :"**ما من شيء كنت لم أراه إلا قد كنت رأيته في مقامي هذا حتى الجنة والنار (أي صغر الله له نموذجا من ذلك وأراه) وقد أوحي إليَّ أنكم تفتنون في القبور مثل أو قريبا من فتنة الدجال، وفتنة القبر هذه هي، يؤتى أحدكم فيقال له ما علمك بهذا الرجل فأما المؤمن فيقول هو محمد رسول الله جاءنا بالبينات والهدى فأجبناه وأمناه وأتبعناه، فيقال له نم صالحا قد علمنا أنك كنت مؤمنا، وأما المنافق أو الكافر أو المرتاب فيقول لا أدري سمعت الناس يقولون شيئا فقلت كما يقولون** " هذا السؤال هو مصدر نعيم القبر أو عذاب القبر . ومن ذلك أيضا ما رواه الشيخان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :" **إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وإنه ليسمع قرع نعالهم فيأتيه الملكان فيقرضانه فيقلان له ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال له أنظر مقعدك من النار قد أبدلك الله منه مقعدا في الجنة .وقال النبي أنه يراهما جميعا مقعده بالجنة والنار.أما المنافق فيقال له : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟فيقول لا أدري كنت أقول ما يقول الناس، فيقال ما دريت ولا تليت . ويضرب بمطارق من حديد، فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين وهم الإنس والجن** "

من ذلك أيضا الدعاء الذي أمرنا رسول الله الدعاء به قبيل السلام من الصلاة :" **اللهم إني أعود بك من عذاب القبر ومن عذاب النار، ومن فتنة المحي والممات** " كذلك ما رواه البخاري ومسلم وغيرهما عن "مراء ابن عازب " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يشرح قوله تعالى :" **يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة** " قال :" **المسلم إذا سئل في القبر شَهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فهذا هو معنى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت** "

لنجيب عن سؤال كيف يمكننا أن نجيب وأن لا يملكنا الخوف والفزع من منظر الملكين ؟ الجواب أن المسألة ليست مرتبطة بتلك الساعة، وإنما المسألة مرتبطة بما كنت عليه في دار الدنيا، فإن كنت دائم الارتباط بالله عز وجل ودائم الفكر به و الالتجاء إليه .ودائم الانضباط بأوامره والابتعاد عن نواهيه جهد الاستطاعة، وإذا جاءك الموت فإن الله سيثبتك . لأن عندها ماضيك هو الذي يربط على قلبك في تلك الساعة . وتقول للملك نعم هو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، أمضيت حياتي كلها وأنا على أوامره وأسير على نهجه وحياته .فيقول بخ بخ إننا على علم بهذا . **فيقال له أنظر مقعدك من النار قد أبدلك الله منه مقعدا في الجنة .**

(الدرس 31)

من الناس من يتصور أنه إن كان مرتبط بشيخ له ارتباطا سليما، فا المسألة بسيطة ولا خطر وأنه سيأتيه شيخه عند وقوعه في سكرات الموت ليذكره بالله، ويأتيه أيضا عند مجيء الملكان بعد الدفن ليلقنه الجواب عن السؤال. هل هذا الكلام موجود في آيات من كتاب الله، أو في صحيح ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟؟؟؟ لا أبدا والله . ولو كان هذا الأمر صحيحا لكان رسول الله أولى بالمجيء إلينا وتذكيرنا بما قيل . لكن لا هذا أبدا غير موجود . بل عملك هو الذي يدافع عنك، ويوقظك إلى إيمانك . أو عملك هو الذي يهلكك . فانظر إلى عملك كيف هو، ومنهجك ما هو .ونحن ممن لا يرتاب في مكانة الصالحين والأولياء عند الله سبحانه وتعالى، وممن إذا دعو سألوا الله بحبه لأوليائه . لكن الأمور تقف في حدود ما ورد في الشريعة الإسلامية، وما عرفناه من كتاب الله ومن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . والشيخ الذي يقول لمريديه أنه سيدافع عنهم عند الموت وعند سؤال الملكين فهو دجال . ولا يوجد أحد من علماء المسلمين الصالحين قال هذا الكلام الذي لا أصل له في دين الإسلام .والمربي كلما ازداد قربا من الله عز وجل ازداد شعورا بأنه لا شيء، وبأنه مقصر في جنب الله سبحانه وتعالى، ويرى أن تلامذته ومريدوه خير منه .

3. **عذاب القبر ونعيم القبر** :أمر غيبي علينا أن نؤمن به، حيث أن الإنسان بعد الموت يتعرض لأحد أمرين إما نعيم أو عذاب ودليلنا على ذلك هو القرءان من ذلك قوله تعالى :" **ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون** " يقول مولانا وخالقنا خطابا لنا أن الكافرين على موعد مع عذاب الله بعد الموت مباشرة . أيضا يقول الله سبحانه وتعالى :" **فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم** " وهذا يقع لهم في الحياة البرزخية . والله عز وجل يقول عن فرعون وآل فرعون :" **وحاق بآل فرعون سوء العذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب** " النار التي يعرضون عليها في الحياة البرزخية .لا مجال في الريب في هذه الآيات التي عرفنا أنها كلام الله عز وجل .

وعن نعيم القبر يقول الله عز وجل في سورة ياسين :" **إني آمنت بربكم فاسمعون قيل أدخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين** " هذا الإنسان قال هذا الكلام

في الحياة البرزخية بعد الموت .إذا نحن أمام نصوص قاطعة صريحة تؤكد أن الإنسان بعد الموت وقبل يوم القيامة، يتعرض إما لنعيم أو العذاب . ورسول الله صلى الله عليه وسلم زاد الأمر تأكيدا وقال فيما يرويه البخاري ومسلم وغيرهما أن النبي صلى الله عليه وسلم مر على قبرين فوقف وقال :" **إنهما لا يعذبان وما يعذبان في كبير . بلى أما أحدهما فكان يسعى بالنميمة وأما الأخر فكان لا يستتر من بوله . وفي رواية لا يستنزه من البول** " ثم أخذ عودا صغيرا، وهو جريد من نخل فشقه نصفين، ثم غرس على كل واحد منهما قطعة وقال :" **لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا** " دل الحديث أن الميت بعد الموت يتعرض للعذاب أو لنعيم .وحديث أخر ذكر من قبل أنه في رواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :" **إذا دفن الميت وذهب أهله وأنه لا يسمع قراع نعالهم يرسل الله عز وجل له ملكين فيسألانه، فإذا كان الميت كافرا يقول لا أدري .....**" والعبرة بالخاتمة في دار الدنيا، وبعدها إما النعيم أو العذاب.والمؤمن يتنعم برؤية المكان الذي أعده الله عز وجل له، وينتظر قيام الساعة ليرحل إلى هذا النعيم الذي أكرمه الله عز وجل به، والعكس ذلك الأخر الذي لم يحر جوابا السبب في دار الدنيا، يقال له أنظر إلى مقعدك في الجنة قد أبدلك الله به مقعدا بالنار، فلا يزال يتلظى ويتألم من هذا الذي يراه إلى يوم القيامة .

ـ **السؤال الذي يتطارحه كل منا** ولابد أن نعلم الجواب عنه وهو هذا النعيم وهذا العذاب لروح والجسد أم لروح فقط؟ الجواب عن ذلك أن جمهور العلماء قال أن النعيم لكل من الجسد والروح، والعذاب أيضا . عجيب هذا وجسد الإنسان يتحول إلى رميما بعد سنوات من موته، كيف هذا ؟ العلماء أجابوا عن هذا جوابا علميا منهم الفرابي ابن رشد ابن سينا . وهي حقيقة علمية وهي : أن الإنسان في دار الدنيا ثنائي التركيب مركب من جسد وروح، وإذا مات وفي حياته البرزخية أيضا ثنائي التركيب جسد وروح، لكن في دار الدنيا تكون الروح محبوسة لحساب الجسد، فإذا مات الإنسان انعكست الآية يصبح الجسد تابعا لروح، يعني إذا ختم لهذا الإنسان بالحسنى فإن هذه الروح تجوب الأفاق وتبقى صلة هذه الروح بالجسد كيفما كان وأينما كان . تماما كأشعة الشمس، وبهذه الصلة يشعر الجسد بما يشعر به من نعيم أو عذاب . وكثيرون لا يصدقون هذا، لأنهم يضعون هذا الذي يسمعونه وفق قوانين الحياة التي يعيشونها في الدنيا . لكن هي قوانين لدنيا على هذه الأرض . وإذا رحلت عنها طويت هذه القوانين ونشرت قوانين أخرى لحياة لم تعشها بعد.وعلينا أن نصدقها لأنها من علام الغيوب رب السموات والأرض . والألم للجسد، والروح

هبطت من الملأ الأعلى وهي دائما تواقة لمولاها وخالقها . والروح يريد تحمل العذاب للجسد إن كان صاحب الجسد مستحقا للعذاب، أو تحمل النعيم إلى الجسد إن كان صاحب الجسد مستحق لنعيم، ويوم القيامة الجسد هو الذي يتعذب . والمؤمن من السهل عليه تصديق هذا .وغير المؤمن يبقى حبيس ما يسميه بالطبيعة .ولا يصدق هذه الأمور .وقال عز وجل عنهم :" وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا قل كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة فسينغضون إليك رءوسهم ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلا " **(الدرس 32)**

بعد أن عرفنا مسألتين مهمتين تقعان بعد الموت وهما سؤال الملكين وعذاب القبر، فإننا لا يمكن ويستحيل أن نصدق بفكرة التناسخ، التي لا يصدقها أي عاقل يتعامل مع حقائق العلم . والمراد بالتناسخ أن روح الإنسان إذا فاضت وخرجت منه لبست جسما آخر مدة معينة، ثم إذا مات هذا الإنسان الآخر انتقلت هذه الروح إلى جسم ثالث وهكذا . باعتبار أن الأرواح أقل بكثير من عدد الأجساد . وهذه الفكرة كانت موجودة عند قدماء اليونانيون، وهم معروفون بالأفكار الخرافية الأسطورية، وعرفت الفكرة أيضا عند قدماء الفراعنة . وهي فكرة خرافية لا العلم يؤيدها ولا الإسلام يؤيدها .وبيان الله يرد على هذه الخرافة بقوله تعالى :**" كل نفس بما كسبت رهينة** "أي روح الإنسان مرهونة بصاحبها .

ثانيا لو وضعنا هذه الخرافة في الميزان العلمي فإن المنهج في الأمور الغيبية هو الخبر الصادق الوارد من مصدر موثوق به علميا .دعوة انتقال الروح من جسد إلى جسد آخر بعد موت الأول غير خاضعة لتجربة والمشاهدة . فالاعتماد على ماذا ؟ على التخيل الباطل وكل من يتخيل ذلك هم من الجهال . لكن المتعامل مع العلم والمنطق يترفع عن ذلك،فضلا عن الإنسان المسلم الذي يتعامل مع كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

2. أشراط الساعة :

الساعة هي اسم من أسماء يوم القيامة في مصطلح كتاب الله عز وجل، يقول الله عز وجل :" **يسألونك عن الساعة أيان مرساها** " وكأن البيان الإلهي من شدة الهول الذي يفيض به ذلك اليوم، جعل الساعة الزمنية التي يعيشها الإنسان محصورة في ذلك اليوم، والأزمنة السابقة تنطوي وتختفي في

هذه الساعة الخطيرة، والأزمنة الآتية تنطوي أيضا أمام هذه الساعة الخطيرة، وكأن الزمن أصبح محصورا في هذه الساعة . قال تعالى :

" **اقتربت الساعة وانشق القمر** " .ويوم القيامة هو ذلك اليوم الذي وعد الله عز وجل في محكم تبيانه، أنه ستطوى فيه السموات والأرض، وتبدل السموات والأرض . يومها تعود الأرواح إلى أجسادها، وتبدل هذه المكونات بمكونات أخرى، وبيان الله تعالى يبين لنا بعض هذه الأحوال التي ستقع في ذلك اليوم .

ـ وحديثنا عن الدلائل التي تظهر قبيل ذلك اليوم وهي بالنسبة لنا من الغيبيات لأنها لم تقع بعد، وهناك علامات إذا وقعت دلت على أن يوم القيامة قريب . هذه الأشراط قسمان : قسم يسميه علماء العقيدة أشراط صغرى ن وإذا لم يعرفها إنسان لا يُكَفَرْ . القسم الثاني هي الأشراط الكبرى وسميت كذلك لأنه لا يسع لمسلم أن ينكرها ،ذلك لوجودها في نصوص ثابتة متواترة ثابتة إما في كتاب الله أو في المتواتر من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم.

طائفة من الأشراط الصغرى : معظمها حدث ووقع لهذا فإنها بالنسبة لنا لا تعد من الغيبيات من ذلك :

1ـ في حديث متفق عليه والذي يرويه عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قال :" بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ دخل علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، لا ترى عليه أثر السفر ولا يعرفه أحد منَّا . الحديث طويل في آخره سأل هذا الرجل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الساعة قال : **"من المسئول عنها بأعلم من السائل** ". قال :" فما أشراطها ؟" قال **:" أن تلد الأمة ربتها ، وأن تجد الحفاة العراة رعاة الشاة يتطاولون في البنيان** " هذا واحد من الأحاديث التي ذكر فيها رسول الله علامات قرب الساعة . أن تلد الأمة ربتها أي أن تلد الأمة فتاة تعق أمها وتفرض عليها الأوامر وتتمرد عليها . والعلامة الثانية واضحة المعنى . وقد أنبأ رسول الله عن التطاول في البنيان العمودي الذي لم يكن ظاهرا عند القدامى .

2ـ ما رواه مسلم عن أبي هريرة قوله صلى الله عليه وسلم :" **صنفان من أمتي لم أراهما قط رجال يحملون سياطا كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة .أولائك لا يدخلون الجنة ولا يجدون ريحها، وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا عام** "وهذا ما يحدث، ولنتأمل في دقة وصف المصطفى صلى الله عليه وسلم .

3 ـ ومن أشراط الساعة قول المصطفى صلى الله عليه وسلم فيما يرويه البخاري في صحيحه :" **إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة** "

4 ـ من أشراط الساعة التي تحدث عنها رسول الله أيضا ما رواه أبو يعلى في مسنده من حديث أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"**سيقرأ القرءان أناس لا يتجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية** " .

5، وحديث للمصطفى قال فيه :" **إذا كثر الهرج فانتظر الساعة** " والهرج هو الفتن، حيث لا يعلم القاتل لما يقتل، والمقتول فيما قتل . هذه طائفة من أحاديث كثيرة رواها المصطفى تبين علامات دنو قيام الساعة .وهي أحاديث آحاد ليس بوسع جميع الناس التعرف عليها، ولا يضره عدم معرفته لها .ولكن في مجموعها تنزل منزلة التواتر.

العلامات الكبرى لساعة : وهي تلك العلامات التي لا يسع لمسلم أن ينكرها، ولو أنكرها لكفر.وأولها حسب الرتيب الزمني ما يلي :

1 ـ ظهور الدَّجال : وكلمة الدجال ليست اسم لذاك الرجل الذي سيظهر وإنما هي وصف له، ومعناها الخداع والكذب والختل والتخيل . علينا أن نلفت النظر أنه لا يجوز لنا أن نؤول كلمة الرجل الدجال الذي وصفه رسول الله إلى جهاز أو مخترع، كما طاب لبعض الناس أن يتخيلوه كذلك . ولنتأمل أحاديث المصطفى في وصفه لهذا الكائن، حيث قال عنه أنه يهودي الأصل، وأنه يخرج من جهة المشرق، وأنه يبدأ يري من نفسه لناس مظاهر الصلاح والتقوى، ثم أنه يفاجئ الناس فيدعي الربوبية، ويجري الله عز وجل على يديه كثيرا من الخوارق . ومن هنا تأتي خطورة الرجل . لأنها خوارق تجعل الناس يصدقونه فيما يقوله عن نفسه . وهذا الكلام استقيناه من أحاديث كثيرة بلغت مبلغ التواتر منها، ما رواه الشيخان وغيرهما من حديث عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس وأثنى على الله عز وجل بما هو أهله، ثم ذكر الدَّجال فقال :" **إني لأنذركم منه، وما من نبي إلا وقد أنذر قومه . ولكني سأقول لكم قولا لم يقله نبي قبلي . إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور**" حديث آخر أيضا يرويه الشيخان وغيرهما من حديث حذيفة رضي الله عنه . واللفظ لمسلم، أن عقبة رضي الله عنه سأل حذيفة : ما سمعت عن رسول الله عن الدَّجال ؟ فقال :" **إن الدَّجال ليخرج وإنَّ معه ماء ونار أي نعيم وعذاب، وأما الذي يراه الناس ماء فنار تحرق، وأما الذي يراه الناس نارا فماء بارد عذب، فمن أدرك ذلك منكم فليقع بالذي يراه**

نارا فإنه عذب طيب " فقال عقبى وأنا سمعت ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم . أيضا حديث آخر وهو الأكثر تفصيلا، يقول فيه المصطفى صلى الله عليه وسلم، والحديث يرويه مسلم وأبو داوود والترمذي وابن ماجة وأحمد وآخرون، حديث طويل عن الدَّجال يرويه" النواس ابن سمعان" رضي الله عنه، قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدَّجال ذات غداة فخفض فيه ورفع أي ذكر من خطورته ما ذكر حتى ظننه في طائفة النخل أي قريب منا، فلما رحنا عنه عرف ذلك فينا أي تخوفنا قال رسول الله :" خوف الدجال أخوفني عليكم (أي خوفي عليكم من العوامل التي تجعلكم ضحية لدجال وكل إنسان بقي مستقيما على دين الله ملتزما بأوامره، ويراقب الله عز وجل ويصلح أمره كلما زلت به القدم، لا خوف عليه من الدجال . لكن الفتن التي ستأتي قبل ظهوره، والتي تجعل الناس يشردون عن دين الله عز وجل ويقعون في المحرمات والبدع وما إلى ذلك هذا هو الذي أخافه عليكم) أن ظهر وأنا فيكم فأنا حجيجه، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيجه، والله خليفتي على كل مسلم . إنه شاب قطط أي شعره أجعد عينه طافية أي أحدها جاحظة كأني أشبهه بعبد العزى ابن قطط، فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف إنه خارج خلةً أي فجأة بين الشام والعراق فعات يمينا وعات يسارا . أي عباد الله فاثبتوا " فقالوا وما لبثه في الأرض ؟ قال :" أربعون يوما، يوم كسنة ويوم كشهر، ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم . فقالوا فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم ؟ قال :" أقدروا له قدره " قالوا يا رسول : وما إسراعه في الأرض ؟ قال :"كالغيث إستدبرته الريح، فيأتي على القوم فيدعوهم فيستجيبون له، يأمر السماء فتمطر، ويأمر الأرض فتنبت، ثم يدعو رجلا ممتلئًا شبابا فيضربه بالسيف فيقطعه جثتين أي قطعتين رمية الغرض ثم يدعوه فيأتيه ويتهلل وجهه يضحك، فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين أي يلبس ثوبين أصفرين واضع كفيه بين أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر ماءً، وإذا رفع تحذر منه مثل الجمان، فيطلبه أي الدجال حتى يدركه ببابلوت فيقتله " وفي حديث آخر يرويه مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخضري رضي الله عنه قال : قال لي ابن الصائت يهودي أسلم وكان يمارس الكهانة والله أعلم، كان يشار في المدينة أنه هو الدجال . كان يقول :"مالي ولكم يا أصحاب محمد، ألم يقل نبي الله أنه يهودي وقد أسلمت، وقال لا يولد له وقد ولد لي، وقال إن الله قد حرم عليه مكة وقد حججت قال : فما زال حتى كاد أن يأخذ فيَّ قوله " الدجال هو رجل من الناس ولا يجوز لأحد أن يؤول هذا

الكلام الذي لا يقبل التأويل . وسيلة التحصن من الدجال كما أشار المصطفى صلى الله عليه وسلم هي كثرة الالتجاء إلى الله، وشدة الاعتصام بكتاب الله عز وجل ، والبعد عن الانحراف ما وسع الجهد لذلك، وإن زلت بنا القدم فالتوبة هي المغتسل .

ـ قد يستشكل أحدا ويقول أن النبي وصف الدجال بصفات لا تنطبق إلا على الله عز وجل كقطعه الرجل قطعتين، ثم يعيده مرة أخرى إلى الحياة، أليست هذه من صفات الله؟ نقول أن الدجال شخص فريد من نوعه وقد شاء الله أن يجعله فتنة لأهل عصره، فهو مستثنى من القانون الذي ذكره سيدنا إبراهيم لنمرود لما ادعى أنه يحي الموتى قال له إن الله يحي ويميت.ومن التبس عليه الأمر فالجواب كما أوضح المصطفى في بعض الأحاديث:" إذا ساورتك نفسك وتسربت الشبهات إلى عقلك فقل لهذا الإله أزل التشوه القدر الذي على وجهك" لكنه لا يقوى على ذلك . إذا ففي الوقت الذي أمكنه الله تعالى أن يقوى على فعل هذه الأمور لحكمة إلهية، لكن الله عز وجل جعل أمامك حجة قاسمة تدرك بها أنه دجال وليس بإله .

ـ ثم ورد أيضا أن هذا الإنسان الذي يقطعه قطعتين ثم يعيده مرة أخرى للحياة يقول الآن تأكدت أنك أنت الدجال لأن النبي وصف لنا هذا العمل، والآن قمت به كما وصفه النبي إذا أنت هو الدجال ذاته .

والنبي خائف علينا من مقدمات تصديقنا لدجال وهي الابتعاد عن الدين وتقليدنا لغيرنا، وأن هنالك دجاجلة يمهدون له متبعون سيرتهم ومتناسين ديننا الذي أعزنا الله عز وجل به . هذا الذي نخاف منه، والذي يجعل الناس ضحايا لدجال .

(الدرس 33)

2 ـ **نزول سيدنا عيسى عليه السلام** :

معنى ذلك أنه يهبط إلى الأرض بعد أن احتجب عنها وعن الناس حقبة طويلة من الدهر في مكان ما من ملكوت الله سبحانه وتعالى، وهو لا يزال يتمتع بحياته الأولى التي أحياه الله عز وجل بها إذ كان نبيا على الأرض، فيمكث في الأرض بين الناس مدة من الزمن، يقيم عليها دعائم العقيدة الإسلامية التي بعث بها الرسل والأنبياء، ويشرف على تنفيذ الشريعة الإسلامية الناسخة لسائر الشرائع السابقة المعارضة لشريعة الإسلامية التي بعث بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومعنى ذلك أنه عند نزوله لا ينزل بوصفه نبي يوحى إليه، وإنما ينزل كواحد من الناس قد انقطع عنه

الوحي يؤكد وحدة العقيدة الإسلامية التي بعث بها سائر الرسل و الأنبياء، ويعمل بالشريعة الإسلامية التي تركها لنا محمد صلى الله عليه وسلم .

وعن حكمة نزول سيدنا عيسى عليه السلام نقول، إن البارئ عز جل أكد في أكثر من موضع في محكم تبيانه أن عيسى ابن مريم لم يكن إلا بشرا من الناس، ولم يكن إلا عبدا من عباد الله سبحانه وتعالى وذكر ذلك بأساليب شتى، منها قوله عز وجل :" **إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندعو أبناءنا وأبناؤكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين إن هذا لهو القصص الحق وما من إله إلا الله** "هذا في سورة آل عمران، وأكد هذا في سورة مريم عندما قال :" **فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا لكن الظالمون في ظلال مبين** " هذا قاله بعد أن قال لنا قول سيدنا عيسى وهو في المهد قال :" **إني عبد الله أتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا والسلام عليَّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون**" اقتضت حكمته تعالى أن يجسد لنا هذا الذي ذكره في محكم تبيانه بواقع . إن الاختلاف الذي كان بين الأحزاب سيزول بنزول سيدنا عيسى عليه السلام هابطا من سماء الله عز وجل إلى الأرض .ويجد العالم نفسه أمام دليل آخر أن القرءان كلام الله سبحانه وتعالى.وأن عيسى ابن مريم ليس إلا عبدا من عباد الله .

ـ تبث نزول سيدنا عيسى نزوله في كل من القرءان والسنة لهذا يعتبر غير المصدق لهذا كافر، أما كتاب الله عز وجل فمن ذلك قوله سبحانه في سورة النساء :" **وقولهم إن قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا إتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا** " . حيث أن الله تعالى ألقى شبه سيدنا عيسى على من خطط لقتله ظنا منهم أنهم عثروا عليه، وأخذ الرجل يصيح أنه يهودي مثلهم أنا كدا ويحكم . فصلبوا شبيهه وصدق الله القائل :" **وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم**" وسيدنا عيسى رفع إلى السماء من بين أيدي اليهود .

هنالك آيات أخرى تدل على المعنى ذاته، من ذلك قول الله سبحانه وتعالى في سورة الزخرف :" وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ "

وعن أحاديث المصطفى حول نزول سيدنا عيسى فهي أكثر من سبعين حديث . من ذلك ما رواه الشيخان وغيرهما بطرق مختلفة، عن أبي هريرة رضي الله عنه وعن غيره أيضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الحرب ويفيض المال حتى لا يَقْبَلُه أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خير من الدنيا وما فيها " ثم يقول ابن هريرة بعد أن روى الحديث :" وأقرؤوا إن شئتم قول الله سبحانه وتعالى :" وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا " ومعنى يكسر الصليب بمعنى يبطل فاعليته وحكمه وعقيدة الصلب . ويقتل الخنزير بمعنى يلغي مشروعية أكلها .

ـ من ذلك أيضا ما رواه مسلم والترمذي وأبو داوود و ابن ماجة والإمام أحمد وغيره عن" حذيفة بن أسيد الغفاري" رضي الله عنه قال قَالَ النبي علينا ونحن نتذاكر فقال " ما تذاكرون ؟ " قال "نذكر الساعة : قال:" إنها لن تقوم حتى تروا عشر آيات ثم ذكر منها الدخان والدجال والدابة وطلوع شمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم..."

ـ الحديث الذي ذكرناه في الدرس السابق من النواس ابن سمعان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه تحدث عن الدجال وأطال ثم قال :" فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين (أي يلبس ثوبين أصفرين) واضع كفيه بين أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر ماءً، وإذا رفع تحذر منه مثل الجمان كلؤلؤ، فيطلبه أي الدجال حتى يدركه ببابلوت فيقتله "

ـ حديث يرويه أحمد وأبي داوود وأبو جرير بطرق مختلفة عن أبي هريرة قال قَال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" الأنبياء إخوة لعلات، أمهات شتى ودينهم واحد وإني أولى الناس بعيسى ابن مريم لأنه لم يكن نبيا بيني وبينه، وإنه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه رجل مربوع بين الحمرة والبياض عليه

ثوبان ممصران كأن رأسه يقطر ماءً وإن لم يصبه بلل فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويقطع الجزية ويدعوا الناس إلى الإسلام ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام، ويهلك المسيح الدجال ..."

المسلم المتفاعل مع قواعد اللغة العربية، ومع دلالات الألفاظ، والمؤمن إيمانا لا يداخله الريب في أن هذا القرءان كلام الله عز وجل . لا يمكن أن يسري إلى عقله أمرين أولا حياة سيدنا عيسى إلى الآن، ثانيا نزول سيدنا عيسى كشرط من أشراط الساعة .

من علماء الأزهر عند الاحتلال البريطاني من صدق بريطانيا فيما ذهبت إليه من تكذيبها للخوارق ومنها نزول سيدنا عيسى وكونه حي إلى الآن، فقيل لأمثال هؤلاء وما قولك في قوله تعالى :" **وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما** " قال أي رفع مكانته . فقيل له ألست من الدارسين والمدرسين للغة العربية بأن بل تأتي دائما بين نقيضين، ونقيض القتل بقاؤه وارتفاعه حيًا، إذا قولهم أنه رفع مكانته كلام غلط لا مكان لصحة فيه .وثانيا قوله تعالى بل رفعه إليه، إن كان المقصود رفع مكانته، إذا سيدنا عيسى أصبح إلهًا والعياذ بالله، هذا الذي يستلزم تفسير كلام الله الذي قال هذا الكلام، وهو مدرس للغة العربية . إذا كلمة بل وإليه تمزق هذا التصور الباطل .

ـ هم يتمسكون بقوله تعالى في سورة آل عمران :" **إني متوفيك ورافعك إليّ ومطهرك من الذين كفروا** " إذا البارئ خاطب سيدنا عيسى قائلا إني متوفيك أي إني مميتك ورافعك إلي . لنعود إلى اللغة العربية حيث أن علماء اللغة العربية قالوا أن كلمة متوفى ومستوفي ووفاة تدل على الموت مجازا لا حقيقة، أما المعنى الحقيقي لكلمة متوفيك ومستوفي ومتوفى بمعنى الإستفاء بمعنى قبض الشيء كاملا، نقول فلان استوفى حقه أي أخذه كاملا .ومعنى قوله تعالى :" إني متوفيك " أي مستوفٍ أيامك في الأرض، ورافعه إليه، إن كان قد مات فما فائدة رفعه إلى السماء، فالجسد مكانه التراب بعد انفصال الروح عنه .

هذا الذي أُخذ بكلام البريطانيين اسمه " محمود شلتوت "كان يوما شيخا للأزهر، شاء الله له أن يمرض مرضا شديدا، ولازم الفراش سنوات . قال عنه صديق وهو دكتور زاره يوما، أنه أشهد الجالسين له قائلا أني أشهدكم أني تبت إلى الله ورجعت عن ما كنت أعتقد في نزول سيدنا عيسى وما إلى ذلك، ورجعت عن ما كنت أقوله عن أن نسبة ثلاثة في المائة من الربا حلالا ... ورجعت عن كدا وكدا وأشهدكم الله أني قد تبت، ومات بعد ذلك .

نسأل الله أن يقبل توبته . ورحم الله الإمام مالك الذي قال :" **إن هذا العلم دين فانظروا عن من تأخذون دينكم** "

(الدرس 34)

ـ هنالك خوض في مسألة نزول سيدنا عيسى خاضته فئة من الناس، طاب لها أن تبيع عقلها لخطة وكيد إنجليزي مكشوف في الهند . حيث كانت بريطانيا محتلة للهند . وبريطانيا مختصة في جعل فئات إسلامية لتدمير الإسلام ،أو منظمات في ظاهرها منظمات إسلامية ولكن مهمتها تحطيم الإسلام، وفي الهند كانت مثل هذه الفئة قائدها يزعم أن نزوله كعلامة من علامات الساعة ليست في الشخص سيدنا عيسى وإنما هو شبيه سيدنا عيسى، وقال أيضا أن هذا الشبيه لن ينزل من السماء وإنما يظهر في الأرض، ثم ادعى أنه هو ذلك الشبيه، الذي جعله الله علامة من علامات الساعة، وزعم أنه يوحى إليه بشرعة، وأخذ يحلل ويحرم، وحاول أن يحول الناس من التوجه إلى بيت الله الحرام إلى بلدته اسمها قاضْيَانْ . وأخذ يعمل على هدم حقائق الإسلام بهذه الطريقة، وبريطانيا ترفده بكل الوسائل المادية والمعنوية . وله كتاب سماه " سفينة نوح " يقول فيه أن كل من اتبعه في معتقده وأمن به، فلسوف ينجو من كل المصائب كما أنجى الله المؤمنين في سفينة سيدنا نوح . والفترة التي أخرج فيها هذا الكتيب، كثير من المقاطعات تعاني من مرض الكوليرا، وهكذا استثمر نقطة الضعف هذه، قائلا أن كل من دخل في معتقدي سوف ينجو من الكوليرا ولا يحتاج إلى لقاح وكثيرون من الجهالة المساكين صدقوه . وكانت النتيجة أنه ابتليا هو بالكوليرا ومات بهذا المرض شر ميتة . والمؤمن بكتاب الله يصده إيمانه عن هذا الدجل الذي يتعارض معارضة تامة مع كتاب الله سبحانه وتعالى . وكذلك الذين لا يؤمنون بكتاب الله لا يمكن أن يدخل هذا الدجل في عقولهم لأنهم عقلاء، والملحد يتعامل مع عقله ولا يؤمن استكبارا. كل هذا يزيدنا إيمانا وتمسكا بهذا الدين أكثر، متسائلين لماذا يحارب هذا الدين فقط مع كثرة الديانات في بقاع الأرض . وهناك كتاب للورنس اسمه " أعمدة الحكمة السبعة " يتحدث فيه عن الثورة العربية وكيف أن بريطانيا هي التي نفخت في خوار هذه الثورة لمصلحتها، وكيف أنها غشت العرب وجعلتهم جنودا وأعوانا لها في القضاء على الخلافة العثمانية، وأوهمتهم أنها تريد نقل الخلافة من الأتراك إلى العرب ويقول " عقد الخلافة ينبغي أن يتألق في جيد العرب لا في جيد الأتراك، وهذا استخفاف بالعرب وضحك عليهم بهذا الكلام، ونجحوا إلى حد في هذا، ويقول لورانس " كم أنا سعيد بهذه الحرب التي وضعت

أوزارها لمصلحة بريطانيا، دون أن تراق قطرة دم لشخص بريطاني فيها "ويقول" ولو أردت أن أدحض العرب النصح لقلت لهم أن يدعموا هذه الخلافة، ويستعيدوا قوتها . لكن كان لابد لي أن أنتصر لحكوماتي"ومع كل هذا فإن الله تعالى يقول:" **يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون**"

3 . **ظهور يأجوج ومأجوج** : وهي كلمة غريبة في اللغة العربية وردت في القرءان، حيث لا عهد بقاموس اللغة العربية بها، ولفت القرءان نظرنا إليها . يحدثنا القرءان بهذه الكلمة، عن أمة كبيرة من الناس يفاجأ بها العالم كما يقرر بيان الله عز وجل، تتسلل إلى العالم والبلدان المختلفة من كل حدب تنشر الدمار والفساد في الأماكن التي تصل إليها هذه الأمة من الناس . وهي علامة من أخطر علامات قرب قيام الساعة . وورد هذا في مكانين من كتاب الله عز وجل . الأول في أواخر سورة الكهف في قوله تعالى :" **قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا، قال ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما أتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله نارا قال ءاتوني أُفرغ عليه قطرا فما اسطعوا أن يظهروه وما استطعوا له نقبا قال هذا رحمة من ربي فإذا جاء وعد ربي جعله ذكا وكان وعد ربي حقا** " المكان الثاني في قوله تعالى :"**حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون واقترب الوعد الحق فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين**" نتساءل هل يجوز لنا أن نؤول هذا بأمة من الأمم المتواجدة الآن في الأرض ؟ نقول لا لأن هذه الأمة إذا جاءت ومضى تاريخها فإن هذا يتناقض مع كتاب الله عز وجل، ومع ما يقوله سيدنا رسول الله في الأحاديث الكثيرة .وهناك من يتلاعب بكتاب الله ويقول هم المغول جاءوا وانتهت أيامهم، وهناك من قال هم التتار . لا هذا تلاعب . لأن ظهورهم من علامات قيام الساعة .

وبعض خطابات الله تعالى تكون بكلمات مبهمة من دابة الأرض ويأجوج ومأجوج، وهذا الإبهام يرتفع بعد ظهور تلك العلامة عند قرب قيام الساعة . هذا غموض موقوت .

أما الأحاديث التي ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ....(وهي التي ذكرت من قبل وفيما يأتي)

4. **ظهور دابة الأرض :** هذه الكلمة وردت في القرءان الكريم في قوله تعالى :" **وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ** " إذا يخبرنا الله عز وجل أن هنالك دابة تخرج من الأرض في مكان ما وأنها تخاطب الناس فتصف الكافر بكفره وتسمو المؤمن بإيمانه، و عندئذ ترتفع فرصة التوبة عن الأرض، ومن كان قد آمن واستقر الإيمان في قلبه فذاك، ومن كان مرتابا وكافرا فكفره لن يتحول إلى إيمان بعد ذلك قط .

هذا الذي يقوله لنا الله تعالى أكده رسول الله صلى الله عليه وسلم في أحاديث كثيرة، نذكر بعض منها . يروي مسلم في صحيحه من حديث " عبد الله ابن عمْرِ ابن العاص " رضي الله عنهما قال :" حفظت من رسول الله حديثا لم أنساه بعد " قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :" **إن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى فأيِّهما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على أثرها قريبا** " إذا الرسول عليه الصلاة والسلام لم يؤكد أي الآيتين أسبق من الأخرى . وهما آيتان تكونان بعد نزول سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام، وبعد ظهور الدجال . أيضا يروي مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" **بادروا إلى الأعمال ستة طلوع الشمس من مغربها والدخان والدجال والدابة وخاصة أحدكم (أي أسرتك وأهلك)** ". أيضا في صحيح مسلم ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم أقبل على أصحابه يوما وهم يتذاكرون فيما بينهم، فقال فيما تذاكرون ؟ قال نذكر الساعة . قال لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات، وذكرها مرتبة ومنها دابة الأرض.إذا بعد هذا ونحن مؤمنون بالله وكتابه أن ننكر ظهور دابة الأرض في ميقات معين ومكان محدد لا يعلمه إلا الله عز وجل . ولكن عن شخص حديث العهد بالإسلام فإن إنكاره الشيء وهو لا يعلمه لا يكفره .

5 . **طلوع الشمس من مغربها** : وهي من العلامات التي نص عليها سيدنا رسول الله في أحاديث كثيرة، وكلها صحيحة بلغت مبلغ التواتر المعنوي . منها التي ذكرناها من قبل . كيف ذلك ؟؟ نحن نعلم أن الأرض تدور، بالنسبة لنوعية الدوران التي وظفها الله عز وجل إياها ننظر فنجد أن الشمس تشرق من مشرق وتغرب من مغرب .فإذا حان الميقات الذي تتجلى فيه هذه الآية، تنعكس دورة الأرض، عندها يحدث النقيض في شروق وغروب الشمس . وهذا شيء لا يتعارض مع العلم . حيث أننا تعودنا على أنظمة أقامها الله عز وجل وطول بقائه يخيل لنا أنه أمر حتمي

يستحيل أن يتبدل . والأمر ليس كذلك، حيث أن الله عز وجل قادر على تغير هذا النظام . وهو ما يحدث عند قرب قيام الساعة . والأمر بيد خالق الطبيعة .

وعلماء اللغة العربية تساءلوا هل يجوز لنا في جملة واحدة أن نجمع بين الحقيقة والمجاز ؟ أي أن نفسر الكلمة بالحقيقة والمجاز في وقت واحد . قال جمهور علماء اللغة أنه يجوز أن نفسر الكلمة بمعناها الحقيقي وفي نفس الوقت بمعناها المجازي إذا كانت هنالك قرائن تقتضي ذلك .وتطبق القاعدة على حديث رسول الله في إخبارنا عن الله تعالى في طلوع الشمس من مغربها لانعكاس دوران الأرض، هذا في معناها الحقيقي . وعن المجازي الذي يمكن أن نفسر به الحديث وهو، أن الشمس المراد بها الإسلام، والتي أشرقت عند بعثة محمد صلى الله عليه وسلم والتي أشرقت من المشرق وهي الجزيرة العربية، وهي شمس أشرقت على عقول الناس واستنارت بنور الهداية، ويخبرنا رسول الله أن هذا النور سيخبو شعاعه من المكان الذي أشرق منه يوما ما، حيث أن الناس يتبرمونه ويعرضون عنه كما نرى الآن، ويتجدد الإسلام وتظهر قوته وفاعليته في الغرب، كما نجد تباشير ذلك اليوم، هذا هو المعنى المجازي الذي أخبرنا به رسول الله . والسؤال هو التالي : بأي المعنيين نفسر الحديث بالمعنى الحقيقي أو المجازي ؟ الجواب نفسر الحديث بالمعنيين معا . قد يقول قائل ما دليل في المعنى المجازي ؟ نقول المعنى الحقيقي لا نرتاب فيه، لكن البارئ عز وجل قال:"**ون تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم** " والخطاب لمن يعيش بالجزيرة العربية والتي هي جزء من مشرق العالم . والقيادات الغربية في حيرة من هذا الأمر، وفي رعب مما تراه . ولا يمكن أن يكون هنالك تفسير للعدوان الذي يعلنه الغرب على الإسلام، والذي تضع له القيادات الغربية خططا إثر خطط إلا هذه الظاهرة التي أدخلت الرعب في تلك القيادات لا سيما في الغرب الأمريكي، في حين أن المسلمون في سبات لا ينهضون بالإسلام والتعريف به، في حين أنه تبدل جهود لإيقاف المد الإسلامي ونشر الكفر في البلاد الإسلامية تنوء عنه بلاد الغرب مجتمعة، ودلائل ذلك الأقنية الفضائية . ومع ذلك نجد أن الإسلام ينتشر بالغرب بقوة . أيضا في آية أخرى قوله تعالى :" **يأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين** "

(الدرس 36)

يوم القيامة : أي قيام الساعة والتي تتضمن انقضاء عمر هذه الدنيا بزوال هذا النظام الذي نعيشه ونعرفه الآن، وانقضاء الحياة من الكون . ويستمر هذا لمدة لا يعلمها إلا الله، وبعده في ميقات لا يعلمه إلا الله تعود الحياة بعودة الأرواح إلى أجسادها، ويخلق الله تعالى نظاما آخر غير هذا النظام الذي نراه . وهذه المدة كلها هي الساعة . ويتبين لنا هذا كله في آية جامعة لهذا المعنى وهي قوله تعالى :" **وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ** .." إذا هنالك صور الله أعلم بطبيعته وهنالك نفخ في الصور نتيجته صعق من في السموات ومن في الأرض، وتوقف العلماء في هذا الذي لا يصعقه النفخ قائلين لعه عزرائيل أو إسرافيل الذي كلف بالنفخ ... وهم أيضا سيؤول حالهم إلى الممات من بعد. والله أعلم بالمدة بين النفختين حيث في الثانية قيام الخلائق من جديد . والحكمة تكمن في السر الذي أودعه الله تعالى في هذا الصور والنفخ فيه، ولا نسأل عن الصور وكيفيته والنفخ، والعبرة في سر هذه المسميات لا في المسميات ذاتها .

ـ **نتساءل ما هي الأدلة التي نعتمد عليها بوجود يوم القيامة وما ذكر الآن** ؟ الجواب أنه لم يخل القرءان الكريم عن خبر يؤكده ويثبته ويكرره بأساليب شتى ويتفنن البيان الإلهي في تأكيده كالحديث عن قيام الساعة، والسبب هو أن الإنسان لم يتلقى ولن يتلقى في حياته كلها على مر العصور خبرا أغرب بالنسبة إليه، من خبر الله عز وجل عن قيام الساعة، لأنه حدث لا نظير له في عقولنا، ولا شيء أمام الإنسان يقيسه عليه مما عرفه من شؤون الدنيا، هو الحديث عن يوم القيامة . في قوله تعالى :" **يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَا ۚ إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ** "

ـ وهو اليوم الذي سيقف فيه الإنسان بين يدي مولاه وخالقه، وهذا أغرب خبر يتلقاه الإنسان من مولاه . وهذا كي يحاسبه، ونتيجته إما العذاب الواصب وإما النعيم الدائم .

ـ وهو أخطر خبر أنبأن به الله سبحانه وتعالى، لأن مدار وجود الإنسان كله على هذا الخبر .

ومن أجل هذا كله فإن البيان الإلهي يتفنن في الحديث عن هذا اليوم ويؤكد بأساليب شتى مختلفة من أجل أن يمتص عوامل الريب والشك بهذا الحدث عند الإنسان، وهي حكمة إلاهية باهرة .

إخبارات الله عز وجل عن يوم القيامة : من خلال هذه الآيات المتنوعة عن أحداث يوم القيامة تذوب الغرابة حتى تصل إلى الاقتناع كأنه جرى فعلا أمامك . لنقرأ هذا البيان المغموس بالمؤكدات وهي :

ـ في قوله تعالى :" اللهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا "

ـ وفي قوله تعالى لمن يحاكم عقله :" وَيَقُولُ الْإِنسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا "

ـ وفي أسلوب آخر للبيان الإلهي الذي فيه حسرة على هذا الإنسان الذي يستكبر على خبر الله عز وجل، وهو الذي كان بالأمس لا يعقل ولا يفهم شيئا، والآن من بعد ما البارئ عز وجل أورثه هذا العقل صار يخاصم به قرار رب العالمين . ويقول البارئ في موضع أخر :" اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّواْ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ "

ـ أسلوب أخر يبرز فيه عظمة الله عز وجل و خالقيته، وبيان أن هذا الملكوت العظيم الذي نراه بأم أعيننا ليس إلا هباء في ميزان الله وقدرته في قوله تعالى :" يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَا ۚ إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ "

ـ وفي أسلوب أخر كشرح معلم لتلامذته ولله المثل الأعلى، بتفصيل وصبر في قوله تعالى :" يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاء إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ "

ـ وفي موضع أخرى يصور لنا البارئ الحدث وكأنه واقع أو شريط يمر أمام أبصارنا، في قوله تعالى :" وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ

مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ " ثم يقول في آية أخرى :" لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون " أي غدا ستعلمون حقيقة هذا الأمر .

(الدرس 37)

البارئ عز وجل في كثير من الآيات التي تتحدث عن يوم القيامة ينقل شكوك الناس واستغرابهم له، ثم يبدد هذا الاستغراب بجوابه العلمي الشافي، مثل قوله تعالى :" بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب أئذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريج " الكافرون كذبوا بالبعث فأجابهم البارئ بجواب بسيط في جملتين قائلا بعلمه من تأكل جسم الإنسان في الأرض بعد موته ويتبدد ويتفرق ويصبح أجزاء تضيع في طوايا التراب، والله تعالى على علم بها في سجل يحفظ هذه الأجزاء بكل تفاصيلها .وينقل البارئ أيضا استغرابهم في قوله :" وَقَالُواْ أَئِذَا كُنَّا عِظَاماً وَرُفَاتاً أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً قُل كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيداً أَوْ خَلْقاً مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَن يَكُونَ قَرِيباً يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلا " هذا بيان فيه تحدي من المولى عز وجل لهؤلاء المكذبين

لنلحظ هذا البيان من الله تعالى في قوله :" لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ وَخَسَفَ الْقَمَرُ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ كَلَّا لَا وَزَرَ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ يُنَبَّأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ "

ويقول تعالى في بيان آخر:" إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ " كلها آيات تمتص ريب المرتابين والمشككين في يوم القيامة

هذا بالإضافة إلى دليل عقلي يجعلنا نتأكد أنه يستحيل أن تكون حياة الإنسان محصورة بين غلافي الولادة والموت، والإنسان لم يخلق عبثا، حيث لا يمكن لعاقل أن يجمع في عقله بين نقيضين وهما إيمانه بالله تعالى، وبين الحكم بأن الله تعالى خلق هذا الإنسان عبثا . وهو القائل :" أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ "

قد يطرح أحدنا السؤال التالي كيف يتم حشد الأجساد وكيف يتم عودة الأرواح إليها ؟أي هل تنعدم الأجساد نهائيا ثم تعود مرة أخرى من العدم إلى الوجود أم أنها تتحلل وتتفكك ؟ الجواب أن البارئ عز وجل لم يضع نقاط على الحروف للإجابة على هذا السؤال، وإنما قال :" كل من عليها فان " وقال :" كل شيء هالك إلا وجهه " وكلمة الفناء في اللغة العربية تشمل المعنيين تشمل الانعدام، وتشمل التبدد .في الثوب أي تفكك وتحلل، كذلك الإنسان إذا فني تفككت وتحللت أجزاؤه فأصبحت درات . ولكن إذا سألنا العلم الحديث قال أن المادة لا تفنى، وإنما قد تتحول إلى طاقة، أي الفناء المراد به التحلل والتبدد، وهذا لا يتعارض مع بيان الله عز وجل . حيث قال أيضا كل شيء هالك ولم يقل منعدم . وعندما قال أيضا :" قد علمنا ما تنقص الأرض منهم " أي أن درات الإنسان موجودة متبددة، والبارئ يحصيها . ثم هذا الإنسان جسمه الذي ولد به يعود كما يشاؤه الله عز وجل أي ليس كما كانت، حيث أن الأصل موجود ثم تعود ربما بطول أكبر وأضخم مما كانت كما أخبرنا بذلك سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم . جاء رجل مشرك إلى رسول الله وهو يحمل في يده قطعة عظم نخرة وأخذ يفتتها، وينفخ ذراتها في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا : يا محمد أتزعم أن ربك سيحشر هذه يوم القيامة قال :" نعم سيحشرها ويحشرك ويدخلك النار " وفي حق هذا الإنسان نزل قوله تعالى :" وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ "

وعن الأرواح فإن كل إنسان مرهون بروحه لقوله تعالى :" **كل نفس بما كسبت رهينة** "

في إشكال عن الروح التي هبطت من الملأ الأعلى تظل في حنين دائم إلى المكان الذي أهبطت منه ولو كانت في جسد إنسان ملحد، والإشكال لماذا تتعذب الروح إن كانت في كيان إنسان ملحد ؟ الجواب هو التالي أن الله عندما يعذب المارقين والطغاة يوم القيامة فإن الجسد هو الذي يتعذب والروح بريد يحمل إلى الجسد هذا الشعور، وهي موظفة لهذا، وكأنها تنتقم لهذا الجسد الذي كان يسير ضد ما تطمح إليه تلك الروح من الحنين إلى الملأ الأعلى .

(الدرس 38)

أحداث يوم القيامة : نذكر ما ذكره الله تعالى عن يوم القيامة أعظمها هو :

1 . **الحساب** : وتعني إطلاع الله سبحانه وتعالى على عباده قبل انصرافهم على المحشر على كل ما قد جنوه في حياتهم السالفة، من تصرفات وأفكار ومعتقدات وخواطر سواء كانت خيرا أو شرا .ونجد ذلك في قوله تعالى :

"لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" وهذا أمر أهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحزنهم وأقضَّ مضاجعهم، ولذلك جاءوا يشكون رسول الله ويسألونه ما الخلاص وليس فينا من لا تخطر في باله أمور مختلفة لا قبل له بها، أي لا يملك جلبا لها ولا ردا عن نفسه . فأنزل الله سبحانه تعقيبا على سؤالهم وشكواهم هذه قوله تعالى :" **آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ، لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين**"

نلاحظ أن الحساب شيء والتكليف شيء آخر، وإطلاع المولى لك عن كل ماضيك لا يعني أن يعاقبك على كل شيء، وإنما يعاقب على ما يشاء ويغفر ما يشاء . والقانون في ذلك أن البارئ لا يكلف نفسا إلا وسعها .

الحكمة من الحساب :الحكمة أن يظهر الله عز وجل فضائل المتقين والمحسنين ومناقبهم، وأن يظهر في مقابل ذلك فضائح العصاة ومسا لبهم وما كانوا يخفونه في دار الدنيا من سوء، ويغطونه

بما يبدونه من أعمال حسنة وسلوك حسن .وقد أجمعت كلمة علماء المسلمين على أن هذا الحساب، هو أعظم وأهم ما يتعرض له الإنسان من أحداث يوم القيامة، إلى درجة أن الله سبحانه وتعالى أطلق على يوم القيامة بيوم الحساب مثلا قوله تعالى :" هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ " ويقول :" إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ " وقال تعالى :" وقال موسى إني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب "

وقد أكد المولى هذا الحدث شرحا وبيانا بأساليب مختلفة منها قوله تعالى :" وقفوهم إنهم مسئولون ما لكم لا تناصرون بل هم اليوم مستسلمون وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون " ولنلاحظ كيف يصور لنا البارئ حساب الجاحدين والكافرين وغيرهم في قوله تعالى :" ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا "

وهذا الموقف الذي يوضحه لنا كتاب الله سبحانه وتعالى بين وعد ووعيد هو أمر يخضع الناس له جميعا حتى الرسل والأنبياء . وقد فاضت أفئدة الصالحين فضلا عن غيرهم خوفا من ذلك الموقف، والسبب أن الإنسان مهما أطاع الله عز وجل ليس معصوما . وعلينا أن نعلم أيضا أن هنالك أناس الله أعلم بهم شاء الله سبحانه وتعالى أن يكونوا في منجاة عن هذا العذاب الشديد والمخيف يوم القيامة، هؤلاء يحاسبهم الله عز وجل حسابا يسيرا، ولا يعرضهم للآلام والشدائد التي يتحدث عنها بيان الله عز وجل . وبين لنا حال الفئتين قائلا :" فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب إلى أهله مسرورا وأما من أوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا ويصلى سعيرا إنه كان في أهله مسرورا إنه ظن أن لن يحور بلى إن ربه كان به بصيرا " والله أعلم بمن هي الفئتين ويقول البارئ :" إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم في ما اشتهت أنفسهم خالدون لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون " ويقول تعالى : " إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ" والله أعلم بمن هم هؤلاء، ونسأله تعالى أن نكون منهم لأن رحمته تعالى واسعة .النبي عليه الصلاة والسلام ،وضح بعضا من ذلك، وذلك عندما قال في الحديث المتفق عليه :" سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، إمام

عادل شاب نشأ في عبادة الله ،ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل قلبه معلق بالمساجد إذا خرج منها حتى يعود إليها، رجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله رب العالمين، ورجل أنفق نفقة أخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه "هذه فئات من الناس النبي عليه الصلاة والسلام بشرهم، ولكن هؤلاء هل سيضمنون أنهم سيستمرون على هذه الحال إلى الموت . إذا تعلقنا برحمة الله بمزيد من الانضباط بأوامره، ولا نتمنى على الله الأماني ونحن مسندون ظهورنا إلى جدران الكسل .

ورد في الصحيح أن المصطفى صلى الله عليه وسلم قال :" **يدني الرب سبحانه وتعالى عبده إليه يوم القيامة ويلقي عليه كنفه أي ستره أثناء الحساب فيقول له أتذكر، المعصية التي ارتكبتها يوم كذا فيقول نعم يارب، ويقول أتذكر المعصية التي ارتكبتها يوم كذا فيقول نعم يا ربي ويريه كتابه إذ بان تلك المعصية، فيقول لقد سترتها لك في دار الدنيا فها أنا أغفرها لك اليوم** " ولا أحد يستطيع أن يقول أنا من هؤلاء الناس . **وهذا سيدنا عمر وهو من المبشرين بالجنة يقول** :" لو أني وضعت إحدى قدماي في الجنة وبقيت الأخرى لم أطمئن من مكر الله سبحانه وتعالى " أي لا يتحرر من الخوف من عقاب الله سبحانه وتعالى .

وطول الموقف في الحساب يتفاوت بين الناس حسب درجاتهم ، ففي الناس من يمتد بهم الحساب لسنوات، ومن الناس من تكون مدة الحساب بالنسبة إليه أقل، ومن الناس من تكون مدة الحساب لا تزيد على حد شاة أو ناقة أي دقائق، وهنالك من يدخله الله تعالى في رحمته بدون حساب وهم فئة واحدة الصابرون لقوله تعالى :" **إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ** " وهم الصابرين عن المعصية عندما يتعرضون لها، والصبر على البلاء والمصائب موت أو فقر أو إيذاء، بحيث يلجم لسانه عن قالة السوء محتسبا أجره عند الله تعالى حيث قال تعالى :

" **وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً**" . وهنالك صبر على الطاعات في كل الظروف والأحوال .وما هو أعلى من الصبر هو الرضا حيث أن الصبر معناه أنه أخفى ألمه وكبته وأظهر رضاه عن مولاه وخالقه . بينما درجة الرضا أعلى حيث أن رضاه أنساه ألمه، ومحبة العبد لربه تنسيه آلامه . وأصحاب رسول الله هكذا كانوا منهم مثلا "عمران ابن حصين " حيث عانى من مرض عضال قل من ابتلي به، ولكن أصحابه ما دخلوا عليه مرة إلا ووجدوا البسمة على وجهه ودلائل الرضا تطفح على محياه . حيث دخل عليه مرة أخوه " العلاء ابن الحصين " رأى

أخوه عبارة عن مجموعة عظام مجموعة في كيس من جلد ووجه يضحك ويبتسم . فبكى من هذا المظهر، قال له عمران : ما يبكيك ؟ قال هذه الحالة التي أنت فيها . فقال مه إن أحبه إلى الله أحبه إلي " وهذه مرتبة عالية جدا جدًا . اللهم اجعلنا من عبيد إحسانك لا عبيد ابتلائك . والالتجاء إلى الله سبحانه وتعالى من أهم أسباب بعث الصبر للمبتلى .اللهم اجعلنا من الصابرين عند الشدائد، والداخلين الجنة بغير حساب.

(الدرس 39)

2 ـ **هول الموقف وعظائمه** :هذا الأمر أيضا يذكرنا بعظمة الله وجبروته وسطوته سبحانه وتعالى، ويؤكد هذا بيان الله تعالى في قوله:"**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ**"

بالنسبة لموقف وهول أحداث يوم القيامة من حيث :

ـ طول الزمن : حيث أن كثيرون ينتظرون طويلا في انتظار مآلهم الذي لا يعرفونه، والزمن نسبي آنذاك . بالنسبة لبعض الناس عبارة عن آلاف السنوات، وبالنسبة لطائفة أخرى ربما يقاس بأشهر، وربما كان طوله بالنسبة لفئة أخرى من الناس لا يزيد على طول حلب ناقة كما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكثيرون هم الذين هم يطول بهم الموقف يوم الحساب وقد تبث ذلك في الصحيح، حتى أن الواحد منهم ليتمنى أن ينتهي من موقفه هذا ولو إلى النار . طول الموقف هذا وصف البيان الإلهي جانبا منه خاصة بالسور المكية، مثلا قول الله سبحانه وتعالى :" **فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ. يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ. وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ. وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ** "كل إنسان وشأنه يومئذ . وورد أن الناس يهرعون يومئذ لرسل والأنبياء منهم سيدنا آدم فيقول نفسي نَفْسي أي دعوني، ويرحلون إلى سيدنا نوح، فسيدنا إبراهيم، وإلى الرسل والأنبياء جميعا، وإذا به كل واحد منهم تائه عن الآخرين كلهم لا يفكر إلا في نفسه . هذا عن الرسل ولأنبياء فما هو شأن الواحد منا آنذاك، هول الموقف لا يستطيع القلم أن يصفه، ويصف البيان الإلهي حال الأمم قائلا :" **وترى كل أمة جاثية** " أي الإقعاد بالانكسار، أي جلسة الخائف المرعوب .

. وصف المصطفى لهول الموقف : من الأحاديث التي قالها المصطفى ما رواه الشيخان من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :"**يحشر الناس يوم القيامة حفاة**

عراةً غرلا (أي غير مختونين) " فقالت السيدة عائشة : وا سوأتاه الرجال والنساء كلهم ينظر بعضهم إلى بعض ؟؟ فقال صلى الله عليه وسلم :" **يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض** "كل لاه بشأنه وورد في الصحيح أن الازدحام سيكون شديدا وأن الضغط بين الناس كضغط بين حجري الراحة، وأن حرارة الشمس تزداد وتتضاعف، ودنوها من رؤوس الخلائق أيضا يتضاعف، فمن الناس من يصل العرق إلى ركبته، ومن الناس من يصل إلى حبوه، ومن الناس من يلجمهم العرق، أي يكادون يختنقون من الزحام ولا يختنقون وربما تمنوا ذلك، وحسبك أنهم يتمنون الخلاص من هذا الموقف ولو إلى النار . ولكن دائما مع كل جلال جمال ولا نعلم من هم أصحاب هذا الجمال والذين تدركهم رحمات الله سبحانه وتعالى عز وجل .

أثناء هذا الهول وهذه الشدة التي تلجم الناس، البارئ عز وجل وصف أناسا ولم يخبر من هم وإنما تحدث عن رحمة من الله تدركهم، يقول الله عز وجل :" **إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ** " لكن من هم ؟ الله أعلم تحدث الله تعالى عنهم لكنه أخفى عنا أعيانِهم، ولله عز وجل في ذلك حكمة . ونحن بالنسبة لهؤلاء نأمل أن نكون منهم، ونخشى الخشية الشديدة من أن لا نكون منهم، ومن تما تأخذنا الشدة ويأخذنا الأمل على درجة واحدة . ونسأل الله تعالى أن يجعلنا من الذين سبقت منه إليهم الحسنى، أو كما قيل :

" إلهي لست للفردوس أهلا ولا أقوى على نار الجحيم فهب لي توبة واغفر ذنوبي فإنك غافر الذنب العظيم "

في حديث مسلم أن الله تعالى يدني العبد ويمد عليه كنفه ويذكره بأعماله المحرمة، ثم يخبره بأنه قد سترها له في الدنيا ويغفرها له يوم القيامة .كما ذكرنا في الدرس الماضي عن سبعة يظلهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله، ونسأله تعالى أن نكون منهم وفي حديث للمصطفى صلى الله عليه وسلم قال فيه :"والكيس من عمل لما بعد الموت (جهد استطاعته) والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني ".

3. **الميزان** : ربنا عز وجل يقول :" **وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** "ويؤكد هذا بقوله:" **وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ** " والبيان الإلهي يكثر من ذكر الموازن

والوزن، حتى لا يبقى في خيالنا استنكار للميزان أو محاولة لتأويل .وتبث أن الله عز وجل يجسد كل من الحسنات والسيئات يوم القيامة، ويجعل لكل منهما ثقلا، ويخضع كل منهما للوزن . لنلاحظ قوله تعالى :" **قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ** "نلاحظ أن الأوزار لها ثقل آنذاك .

ما الحكمة من إخضاع حسناتنا وسيئاتنا للميزان : علما أن الله تعالى لا يجيز للقاضي أن يقضي بمقتضى علمه ولو كان الرجل عادل، وإنما يقضي بموجب الوثائق . وإن علم بالظالم والمظلوم عندها ينزل منزلة شاهد وبالتاي تصبح شهادته وثيقة، وربنا سبحانه ألزم ذاته العلية بما ألزم به عباده . وهكذا من رجحت حسناته غفرت ذنوبه المرجوحة، ومن رجحت سيئاته فهو الذي باء بالخسران .

ـ ربنا سبحانه وتعالى يوم القيامة يجعل مصير الإنسان نتيجة لحياته التي أمضاها في دار الدنيا، أي نحصد ما زرعنا . ولنتأمل قوله تعالى :" **وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۚ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا** " وقوله أيضا :" هَٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ " والنسخ ليس كتابة فقط وإنما صوتا وصورة أيضا ومجسد كذلك . ويقول :" **أحصاه الله فنسوه**" ومن قال أن هذا الكلام مجازي لا وجود لميزان لسيئات والحسنات فقد كفر، لكونه أنكر الصريح من كلام الله تعالى في قوله :" **وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ** " وغيرها من الآيات التي تؤكد حقيقة الوزن، والله تعالى قادر على كل شيء .

(الدرس 40)

4. **الصراط واجتياز الناس له** : الصراط في اللغة العربية تعني الطريق، وهي مأخوذة من كلمة صرط يَصِرِطُ بمعنى ابتلع دون مضغ، سمي صراطا لأنه يبتلع السائرين فيه . وفي المصطلح الإسلامي فإن الصراط يطلق على معنيين :

المعنى الأول هو المنهج الذي يلتزمه الإنسان في حياته، ونجد هذا في سورة الفاتحة :" **اهدنا الصراط المستقيم** " هذا طريق معنوي .وقال في موضع آخر :" **وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** "وذكرت الآية بعد أن

عدد مجموعة من المحرمات، ثم قال هذا هو المنهج الذي عليك إتباعه، ثم قال ولا تتبعوا السبل وهي الطرق الضيقة المتعرجة .

الرسول صلى الله عليه وسلم لما شرح هذه الآية لصحابة، خط خطين عريضين ثم أشار إلى ما بين الخطين قائلا : هذا هو صراط الله، ثم رسم خطا يتعرج عن يمين هذا الخط وخط يليه وأخر يليه، ورسم خطوطا متعرجة عن شمال هذا الطريق، وقال وهذه السبل وعلى رأس كل سبيل شيطان يدعو إليه . الطريق العريض المستقيم و الذي يوصلكم إلى الغاية، ولن تظلوا فيه، لكن عن يمين وشمال الطريق طرق متعرجة ودقيقة إياكم أن تسيروا فيها، وإن فعلتم ظللتم ولم تستطيعوا أن تعودوا .

المعنى الثاني :هو معنى مخبوء ليوم القيامة، وهو عبارة عن جسر كما عرفه المصطفى صلى الله عليه وسلم، ينصب على جهنم، يلزم الناس جميعا أن يمروا فوقه . ويتبين هذا في القرءان في قوله تعالى :"**وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جِثيا** "والهاء في واردها لجهنم، على حسب ما قبلها من لآيات، والوارد في الآية بمعنى اجتياز ومرور، ومن بين الواردين فريق ينجيه الله تعالى، وفريق آخر سرعان ما يسقطون عن يمين الطريق وعن يساره .ونرى هذا أيضا في قوله تعالى :" **ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فأن يبصرون** " وصف ليوم القيامة .

وهناك طائفة من أحاديث المصطفى عليه الصلاة والسلام في كلام واضح لا يقبل أي تأويل ولا مجاز . حيث عندما سئل المصطفى :" هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ أجاب رسول الله صلى الله عليه وسلم :" **هل تُضارون في القمر ليلة البدر ليس دونه حجاب ؟** " قالوا " لا . قال :" **كذلك ترون ربكم يوم القيامة، ويضرب الله جسر جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يجيز، ودعاء الرسل يومئذ اللهم سلم اللهم سلم، وعن يمين الجسر ويساره كلاليب قائلا أما رأيتم شوك السعدان ؟**" قالوا :" بلى يا رسول الله " قال:" **إنها مثل شوك السعدان غير أنها لا يعلم قدر عظمها إلا الله جلا جلاله، فتتخطف الناس بأعمالهم منهم الموبق بعمله ومنهم المخردل ثم ينجوا**" وفي حديث آخر متفق عليه رواه البخاري ومسلم وغيرهما من حديث أبي سعيد الخضري رضي الله عنه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" **يمر الناس على جسر جهنم وعليه حسك وكلاليب وخطا طيف تختطف الناس يمينا وشمالا وعلى جنبها ملائكة يقولون اللهم سلم اللهم سلم، فمن الناس من يمر مثل البرق، ومنهم من يمر كالريح المرسلة، ومنهم من يمر كالفرس المجري ، ومنهم من يسعى سعيا**

ومنهم من يمشي مشيا، ومنهم من يحبو حبوا، ومنهم من يزحف زحفا فأما أهل النار الذين هم أهلها فلا يموتون ولا يحيون، فأما أناس فيؤخذون بذنوب وخطايا فيحترقون فيكونون فحما ثم يؤذن لهم بالشفاعة " وفي حديث آخر وصف الله تعالى الصراط بأنه أحد من السيف، وأدق من الشعر، شيء غريب، لكن النبي أوضح لنا ذلك، بأن هذا الصراط يضيق ويتسع حسب الأشخاص الذين يجتازونه، فمن الناس من يتبين له هذا الصراط على أنه ساحة واسعة جدا جدًا يسير فيه ويتعرج فيه يمينا وشمالا كما يشاء، ومن الناس من يضيق أمام أبصارهم هذا الصراط، والضيق أيضا متفاوت إلى أن يصل إلى هذا القدر الذي ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ما الحكمة ؟ الحكمة كما قال الإمام الغزالي في الإحياء وغيره، حيث قلنا عن وجود معنيين لصراط الأول هو المبدأ الذي أخذنا الله عز وجل به، وأمرنا أن لا نتجاوزه يمنة ولا يسرة، والثاني هو الذي سينصب أمامنا يوم القيامة . فمن ألزم نفسه صراط الله في الدنيا ولم يشرد عنها أي ضيق على نفسه السبل، وألزم ذاته بما قد شرعه الله سبحانه وتعالى له، حيث ألجم لسانه عن التحدث عن الآخرين، ولم يتبع النفس هواها، ومن فعل هذا استنزالا لرضا الله عز وجل والتزاما بما أمر، فإن ربي عز وجل بالمقابل يوسع عليه ما قد ضيقه على نفسه يوم القيامة . ومن أرخى لنفسه العنان ووسع على نفسه في دار الدنيا، ضاق عليه الصراط يوم القيامة .

وما قاله الإمام الغزالي في كتابه الإحياء عن الصراط ما يلي :" **فمن استقام على الصراط المستقيم في دار الدنيا خف على صراط الله يوم القيامة فنجا، ومن عدل عن الاستقامة في الدنيا وأثقل ظهره بالأوزار وعصا تعثر في أول قدم من الصراط وتردى، فتفكر الآن فيما يحل من الفزع بفؤادك إذا رأيت الصراط ودقته، ثم وقع بصرك على سواد جهنم من تحته، قرع سمعك شهيق النار وتغيظها، وقد كلفت أن تمشي على الصراط مع ضعف حالك واضطراب قلبك وتزلزل قدمك وثقل ظهرك بالأوزار، المانعة لك عن المشي على بساط الأرض، فضلا عن حدة الصراط . فانظر إلى حالك وأنت تزحف عليه وتصعد إليه وأنت مثقل الظهر بأوزارك تلتفت يمينا وشمالا إلى الخلق، وهم يتهافتون في النار، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول يا ربي سلم سَلم، والزعقات بالويل والثبور قد ارتفعت إليك من قعر جهنم، لكثرة من زلَّ عن الصراط من الخلائق . فكيف بك لو زلت قدمك ولم ينفعك ندمك فناديت بالويل والثبور فقلت هذا ما كنت أخافه فيا ليتني قدمت لحياتي، يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا، يا ويلاته ليتني لم أتخذ فلانا خليلا، يا ليتني كنت ترابا، يا ليتني**

كنت نسيا منسيا، يا ليت أمي لم تلدني، فكيف ترى الآن عقلك وهذه الأخطار بين يديك، فإن كنت غير مؤمنا بذلك فما أطول مقامك مع الكفار في دركات جهنم، وإن كنت به مؤمنا وعنه غافلا، وبالاستعداد له متهاونا فما أعظم خسرانك وطغيانك، وما ينفعك إيمانك، إذا لم يبعثك في السعي في طلب رضا الله تعالى بطاعته، وترك معاصيه " هذا كلام الغزالي مأخوذ من كلام الله تعالى، ولا يجوز لنا إنكار ذلك .

5. **الشفاعة** : هي نوعان شفاعة كبرى وشفاعة صغرى، ويهمنا التعرف على ما يسمى بالشفاعة الكبرى وهي مما لا شك فيه، وهي ثابتة لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا موضوع يفتح لنا باب الانتعاش برحمة رب العالمين، لهذا أخرت الحديث عن الشفاعة بعد الحديث عن الصراط، وهذه الشفاعة مظهر من مظاهر رحمة الله عز وجل، لأن الله تعالى هو الذي أولى سيدنا رسول الله هذه الشفاعة .

ـ بالنسبة لمن يموت كافرا قطع الله تعالى أمله عن هذه الشفاعة، نجد هذا في قوله تعالى بما ألزم به ذاته العلية :" **إن الله لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** "

(الدرس 41)

الشفاعة التي ادخرها الله تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة تتجلى في مظهر شتى منها :

ـ يشفع الرسول في العباد بأن يريحهم من طول المحشر .

ـ يدخل طائفة من عباده الجنة بدون حساب بشفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ـ يغفر الله تعالى لأناس استحقوا دخول النار، لكن بشفاعة رسول الله أكرم الله تعالى هؤلاء بدخول الجنة .

ـ أناس دخلوا النار وعذبوا وبشفاعة رسول الله أخرجوا من النار إلى الجنة والله أعلم .

وقد صح أن المقام المحمود الذي ندبنا إلى أن ندعو لرسول الله صلى الله عليه وسلم به عند كل دعاء، إنما هو المنزلة التي وعد الله أن يبوئها محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة والتي تتمثل في أن يكون شفيعا لناس . النبي عليه الصلاة والسلام قال :" **من دعا عند الأذان اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة أتي محمد الوسيلة والفضيلة وابعثه المقام المحمود الذي وعدته، كنت شفيعا له يوم القيامة** "

الدليل على الشفاعة من كتاب الله عز وجل : ربنا عز وجل يقول في سورة مريم :" لَّا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا"والشفاعة ثابتة من غير الرسل أيضا، لصالحين من عباد الله تعالى سبحانه .

ويقول الله عز وجل :" **يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا** "

الدليل من السنة : حسبنا ذاك الحديث الطويل الذي جاء فيه : أن الناس يضجون يوم القيامة، ويتذكرون سيدنا آدم أبا الأنبياء يهرعون إليه ويشكون إليه الحالة التي هم فيها ويطلبون منه الشفاعة، فيقول نفسي نفسي فيتذكر اليوم الذي عصا فيه الله عز وجل إذ أكل من الشجرة التي نهاه الله عنها . ويذهبون إلى نوح، كذلك يصرفهم إلى غيره، ثم يذهبون إلى سيدنا إبراهيم خليل الرحمان، أيضا يشكو نفسه، ويقول اذهبوا إلى غيري . وهكذا إلى أن يأتوا إلى رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم . ويقول الرسول :" **فأتي وأسجد تحت العرش فيلهمني البارئ عز وجل من الثناء عليه ما لم يثني به عليه أحد، ثم يقال لي ارفع رأسك وسل تعطى** " وعندئذ يرفع رأسه رسول الله ويطلب من الله عز وجل بأن يكون شفيعا لعباده جميعا، فيستجيب الله عز وجل لدعائه . وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أن الله عز وجل قد وعده بأن يشفع لثلثي أمته، لكن رسول الله رغب بأن تكون شفاعته هذه يوم القيامة وقال :" **ما من نبي إلا و أوتي دعوة مستجابة وقد جعلت دعوتي شفاعتي لأمتي يوم القيامة** " شفاعة رسول الله هي من رحمة الله تعالى . ونقول يا رسول الله أدخلنا في هذه الشفاعة يوم لا نجد شفيعا بين الأنبياء والرسل إلا أنت .

. ويدخل ضمن الشفاعة أيضا الحوض الذي وعد الله عز وجل به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وكلمة الحوض و الكوثر بمعنى واحد، والمحققين قالوا ما كان منه داخل الجنة فاسمه الكوثر، وما تسرب منه حوضا خارج الجنة فهو الحوض . والبارئ يقول لرسوله :" **إنَّا أعطيناك الكوثر** " و الكوثر كلمة قرءا نية شرحها لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيما يرويه أنس رضي الله عنه قال :" بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا في المسجد إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه مبتسما، قلنا ما يضحكك يا رسول الله ؟ قال :" **لقد أنزل عليَّ أنفا سورة**، فقرأها بسم الله الرحمن الرحيم :" **إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَ انْحَرْ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأبتر**" ثم قال :" **أتدرون ما الكوثر** ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم . قال :" **إنه نهر وعدنيه ربي عز وجل عليه خير كثير، وهو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد نجوم السماء فيختلج العبد منهم، فأقول ربي إنه من أمتي .**

فيقول إنك لا تدري ما أحدث من بعدك " وفي رواية :" **إنك لا تدري كم بدلوا من بعدك** "وفي حديث يرويه مسلم والإمام مالك في المدونة فيما يرويه أبو هريرة رضي الله عنه يقول :"خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى البقيع (قبيل وفاته) فسلم على أهل البقيع فقال :" **السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإن بكم إن شاء الله لاحقون**، ثم قال :" **وددت لو أني رأيت إخواننا** ؟ فقالوا له :" ألسنا إخوانك يا رسول الله ؟ قال :" **بل أنتم أصحابي، وإخواني أولائك الذين لم يلحقوا بعد وسأكون لهم فرطا على الحوض أي سأستقبلهم على الحوض** . فقالوا له :" كيف تعرفهم يا رسول الله وأنت لم تراهم ؟ فقال :" **أرأيتم لو أن رجلا له خيل غرٌّ محجلة وسط خيول دهْمٌ بُهْمٌ أفكان يعرفها** " قالوا :" نعم " **قال :" فأنا أعرفهم غرٌّ محجلين من أثار الوضوء، ألا لايزادن رجالا من حوضي أي يطردن كما يزاد البعير الضال فأقول ألا هلم ألا هلم، فيقال إنك لا تدري كم بدلوا من بعدك، فأقول فسحقا فسُحقا فسحقًا** " هذا الحديث في نفس معنى الحديث الأخر، زاد عليه اشتياقه لإخوانه أمثالنا إن شاء الله تعالى . ويطرد من الحوض الذين بدلوا من بعد رسول الله، من أمثال أولائك الذين يصدرون فتاوى على جواز ما حرم الله كربا، والمسلم الواعي القارئ لبعض أحاديث المصطفى في مختلف جوانب الحياة، يفرق بين الحق والباطل من أمثال هذه الفتاوى .

وصف الجنة والنار :

هما علامان ماديان وليسا نعيمين روحيين كما يتصور بعض الناس، وهما لمتعة أو عذاب الروح والجسد معا والذي تصور غير ذلك فقد كفر . وهؤلاء هم الذين لم تهضم عقولهم النشأة الثانية التي أنبأنا الله عنها لكل من الروح والجسد، قالوا إن نعيم الجنة نعيم روحاني وإن عذاب النار عذاب روحاني .

(الدرس 42)

هذا الموضوع يتناول فيه عدة مسائل وهي :

1 . **هل النعيم الذي وعد الله تعالى به عباده المكرمين نعيم جسدي وروحاني معا** ؟ وهل العذاب الذي توعد الله عز وجل به من حقت عليه لعنة الله سبحانه وتعالى عذاب جسماني وروحاني معا ؟ كان الجواب أن العذاب والنعيم لكل من الروح والجسد معا، والعبارة الأدق أن نقول أن العذاب للجسد عن طريق الروح، والنعيم الذي أعده الله تعالى للمكرمين من عباده هو للجسد والروح معا.والذليل هو مما ذكرناه من أن النشأة الثانية التي أخبر الله تعالى عنها في كتابه، أكد

البارئ فيها أنها نشأة لكل من الجسد والروح، وقد استعرضنا طائفة من الآيات الدالة على ذلك . أما عن النعيم الذي أعده الله تعالى لعباده المكرمين لكل من الروح والجسد معا، لأن الروح كانت ولا تزال سائرة على النهج القويم، وهي هابطة من الملأ الأعلى، وهي تشد صاحبها إلى الاستقامة، وتصرفه عن الاعوجاج، لهذا هي كالجسد يستحقان كرم الله سبحانه وتعالى . لكن عندما يستحق شخص من عباد الله العذاب لكفره واستكباره وعتوه، فإن العذاب لجسده، ودور الروح هنا أنه رسول لإبلاغ الجسد مشاعر هذا العذاب، وهنا الروح هي بريد، وعذاب النار يتلاءم مع الجسد . والروح كانت دائما في شوق إلى العالم العلوي الذي أهبطت منه، ولا ذنب لها أن تتعذب إن كانت في جسد صاحبه كفر بالله تعالى .

والجنة بها نعيمان نعيم روحي ونعيم جسدي . الدليل من القرءان على أن الروح والجسد كلاهما ينعمان في الجنة . نجد أن القرءان عندما يصف الجنة، يتطرق إلى دقائق الأشياء فيها، وهذا حتى يطرد من دهن أن النعيم نعيم روحاني مثلا عندما يقول وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ " كلها نعم للجسد . وفي سورة الواقعة نجد قوله تعالى :" وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ " وكتاب الله مليء بهذا النوع من البيان . وكذلك عندما يتحدث البيان الإلهي عن العذاب يذكر جزئيات تتناسب مع الجسد، مثل قوله تعالى:" وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ " والبارئ عز وجل يهدد المستكبرين في دار الدنيا ويقول لهم :" ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ"هنا لا يمكن لمن يزعم أن عذاب النار عذاب روحاني أن يفسر هذه الآيات وفق زعمه.

2 ـ **ماذا تعني كلمة الجنة** ؟من المستهزئين ببيان الله عز وجل يقول أن الجنة كلمة في اللغة العربية معناها البستان الذي تكاثفت أشجاره، ويستهزئون قائلين الجنة فقط أن تعيش في مكان تقاربت أشجاره .وهذا يقودهم إلى الشيء التالي : قائلين أن محمد صلى الله عليه وسلم كان من الذكاء بمكان حيث علم أن قومه يتمنون لو أنهم رأوا عرقا أخضر يمتعون به أبصارهم في أرضهم

القاحلة، ويتمنون لو أن أبصارهم تمتعت بسلسلة ماء يبرق أمامهم، وعلم رسول الله أن هذه الأمنية عزيزة جدا عليهم لكنهم لا يصلون إليها، فمناهم بهذا الذي يحلمون به إن هم أطاعوه، لشدة ذكائه ودهائه، ومن تما إستجبوا له، لأنه وعدهم بما يتمنون من أشجار وأنهار، والجنة ما هي إلا ذلك . **ونقول هل الجنة التي وعد الله تعالى بها عباده هي هذا** ؟؟؟ الجواب في القرءان الكريم . يقول البارئ عز وجل :" **وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ** "القرءان يؤكد لنا أن الإنسان الذي يكرمه الله تعالى بذلك العالم الذي سماه جنة، يتمتع بكل ما يشاء، أطلب تعطى . في آية أخرى :" **فِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** " والنبي عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح يقول :" **فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر** " إذا الأمر ليس كما تصوره أولائك السذج ووصفهم رسول الله بالكذب والعياذ بالله، وأنه أراد أن يستجلب عواطف قومه .

السؤال الذي قد يطرح ما دام ذلك العالم فيه من كل أصناف المتع، لماذا سمي ذاك العالم باسم الجنة ؟دائما نجد أن البارئ يسميها دائما بالجنة مقرونة بالأنهار الذي تتسلسل فيما بينها .الجواب هو التالي :كل أصناف المتع التي شاء الله تعالى أن يتمتع بها الإنسان في دار الدنيا خاضعة لتطور، إلا متعة واحدة منذ أن خلقها الله عز وجل للإنسان، هما أمران اثنان لا يتطوران ولا يخضعان لتطور، وهما الخضرة التي تتمتع بها الأعين والماء الذي يتسلسل و يلمع بين هذه الخضرة . لذلك سمى الله عز وجل ذلك العالم باسم المتعة التي لا تتطور أبدا وهي الجنة .ولو سماه باسم آخر لكان دلك الاسم لذاك الشيء الذي وجد في عهد الرسول غير الذي وجد الآن بل وحتى الاسم أحيانا يتغير . تلك التسمية من قبيل ما يسميه علماء اللغة العربية بتسمية الكل باسم الجزء.

3 ـ **الجنة والنار عنصران خالدان لا يمكن أن يعتريهما زوال** :هكذا قرر بيان الله سبحانه وتعالى . فالجنة عندما يكرم الله عز وجل بها الصالحين أو المرحومين المغفورين من عباده، فهو نعيم خالد لا يعتريه زوال قط، كذلكم العذاب . ولنا هذا من تقرير الله سبحانه وتعالى في قوله مثلا :" **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا** خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا " **أي** خلود أبدي . ويقول :" **إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم**

مَّاكِثُونَ " والله تعالى يقول عن عذاب هؤلاء :" إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا "من اغتاب في هذا فقد كفر. المولى تبارك وتعالى يتصف بالرحمة، ويتصف أيضا أنه إذا أخذ أَخَذَ أَخْذَ عزيز مقتدر وأنه ذو انتقام . فهذا الذي مات ولقي وجه ربه مستكبرا، حيث يخفي الحقائق في قلبه وغص بها لسانه استكبارا، فالله تعالى يعذبه حسب القرار الذي اتخذه لنفسه في الحياة الدنيا، حيث يقول عنهم البارئ :"لَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ "

(الدرس 43)

من الصفات التي أكدها الله عز وجل لنعيم الذي يتلقاه الذين سبقت لهم الحسنى من الله عز وجل، والعذاب الذي يتلقاه الذين شقوا كما قال الله عز وجل، وصف كل منهما بالخلود والتي تعني الأبدية أي الاستمرار الذي لا نهاية له، وهناك عشرات الآيات التي تتحدث عن هذا الخلود في الجنة أو النار . منها على سبيل المثال قول الله عز وجل :" إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا " ويقول عن المجرمين :" إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ"من تصور خلاف ذلك فقد جحد بهذه الآيات الصريحة الواضحة، وسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم زاد لنا الأمر إيضاحا وتأكيدا وقال فيما رواه الشيخان من حديث " عبد الله ابن عمر " رضي الله عنهما قال قَال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" **إذا صار أهل الجنة إلى الجنة، وصار أهل النار إلى النار جيء بالموت وجُعِلَ بين أهل الجنة والنار، ثم يذبح ثم ينادي مناد يا أهل الجنة لا موت، يا أهل النار لا موت، فيزداد أهل الجنة فرحا إلى فرحهم، ويزداد أهل النار حزنا إلى حزنهم** " ومن الذين يقولون أن نار جهنم لها ميقات ينتهي فيه كل شيء وتغلق أبوابها ويبرد حرها، هو كلام غير مقبول فيه سوء أدب مع ربنا، لأننا نحكم بحكم فضولي وننسبه إلى الله ونستنطقه بهذا الذي نقول، وربنا لم يقل هذا الكلام بل قال :" لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ..." ليس من الأدب أن نطلق حكما لم يقله رب العالمين، أقل المراتب أن تسكت وتحيل الأمر إلى رب العالمين، ويوم القيامة يظهر لنا كل شيء . وعلى الإنسان أن يكون قراره أن يبقى ملتزما بأوامر الله

عز وجل مؤمنا به مهما عاش . ومهما ازداد عمره ازداد تمسكا بهذا الدين ويزداد سعادة به .ولذلك يكرمه الله عز وجل بالنعيم الأبدي .

4. إشكال علينا الإجابة عنه، في الناس من يقول أننا ذكرنا أن الله واحد في ذاته وواحد في صفاته، ومنها القدم والبقاء وإذا كان أهل الجنة سيخلدون خلودا أبديا لا نهاية له، فقد اشتركوا مع الله عز وجل في صفة من أخص صفاته وهي البقاء ؟ وهذا يتنافى مع ما عرفناه عن الله تعالى بأنه واحد في ذاته، لا يشترط معه أحد في ألوهيته، وواحد في صفاته لا يشترك معه أحد في صفة من صفاته ؟ الجواب عن هذا هو : صحيح أن الله تعالى يوم القيامة يكرم أهل الجنة بالخلود، وهذا بتخليد الله تعالى لهم، وهي ليست نابعة من ذواتهم وإنما ممن خلدهم . وإذا تخلى الله تعالى عنك فأنت لا شيء :" **ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره** "والرسول صلى الله عليه وسلم يقول :" **ألا كل شيء ما خلا الله باطل** "أي أن المكونات الموجودة فإن قيامها وأداءها لوظائفها يتم ذلك كله بالله عز وجل . وفي القرءان آية تجيب عن هذا الإشكال الذي قد يستشكله أحدنا وهي في قوله تعالى :" **فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۖ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ** " ودور جملة الاستثناء " **إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۚ**" جواب عن السؤال الذي طرح

موقف العبد من ربه ينبغي أن يكون موقف الخانع الخاضع الراضي بحكم الله عز وجل .

نعيم الجنة يتلخص فيما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم :" **فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر**" وفيها أيضا كما قال الله تعالى :" **فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين** "وأعظم ما يتمناه العبد وألد ما يتمتع به هو رضا الله تعالى ورؤيته، والسبب أن هذا الإنسان عاش في دنياه يتلقى رسائل الحب من مولاه وخالقه وهو لا يراه، وعاش في دنياه وهو يناجي مولاه في الأسحار والبكور والسجود وهو لا يراه، وعاش وهو يتقلب في نعمه من أولها إلى أخرها . وفي الآخرة يرتفع الحجاب ونلقى الله تعالى راض عنا محب لنا .لهذا قال تعالى :

" **لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ** " والمزيد هو رؤية البارئ عز وجل . وقانون النظر في الآخرة غير قانون النظر في الدنيا . وإذا فرضنا القانون نفسه فإن جسد الإنسان يذوب خلال لحظة بالنار . لكن الله عز وجل يهيئه خلق آخر للمتع التي وعده بها.لما سئل الإمام الشافعي عن إمكانية رؤية

المؤمن ربه يوم القيامة أجاب كما يلي :" نعم واستدل بهذا الكلام لما حجب الله عز وجل عنه قوما بسخط دل على أن قوما يرونه برضا " فقال له الإمام المازني وهو من أصحابه :" أتجزم بذلك يا سيدي ؟ قال :" والذي نفس محمد ابن إدريس بيده لو لم أوقن أنني سأرى الله في العقبى ما عبدته في الدنيا "

الردة أسبابها وضوابطها :

إن للإسلام والإيمان أركان خمسة، وبوجودها يتكامل الإسلام والإيمان، وبغياب ركن من أركانهما يغيب الإسلام أو الإيمان . فالذي لم يؤمن من بدايته بأركان الإيمان والإسلام سمي كافرا، ومن كان مؤمنا بها وبعد ذلك لم يؤمن بأحدها أو كلها سمي مرتدا، وكلاهما كافر لكن أحدهما بالأصل والأخر مرتد . وعلينا أن نعلم ضوابط الردة بشكل دقيق حتى لا نقع لا في إفراط ولا تفريط . وعندنا ميزان دو كفتين يضبط قواعد الردة، وأحد المحورين هو قول الله سبحانه وتعالى :" **إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا** " هذه هي الكفة الأولى . أما الكفة الثانية هي أنه لا يجوز على إنسان أن يحكم على إنسان أخر إلا على ما ظهر منه، ولا يمكننا أن نحكم على سرائر الناس، حيث لا أحد في الكون يمكنه ذلك . من خلال هذين المحورين تستبين لنا قواعد الردة التي سنخوض فيها .

ونستطيع أن نحكم على إنسان أنه مرتد إذا تجلت هذه العقيدة من قلبه إلى لسانه من هذا المنطلق فإن :

أسباب الردة هي : إما أن تكون أقوالا أو أفعالا، أو مظاهر من الاستخفاف والهزأ ينبئ عن شيء .

(الدرس 44)

بيان الميزان الأول : المتمثل في قوله تعالى :" **إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ** " قضى الله سبحانه وتعالى قضاء مبرما من خلال هذه الآية أنه لا يغفر لمن مات مشركا، أما المعاصي التي هي أدنى من الشرك فالله عز وجل إذا شاء غفر، وأخفى عنا تفصيل ذلك . ما هو شرك وما أكثر منه من إنكار وجود الله تعالى، وإلحاق نقص بذات الله عز وجل من استهزاء، هذه لا مجال لمغفرة الله تعالى لها، أما ما دون الشرك فيمكن مغفرتها .

بيان الميزان الثاني : وهو ضابط للميزان الأول وكابح له ومحدد ومنظم له أيضا، والذي هو أنه لا يجوز لنبي ولا رسول ولا ولي ولا قاض ولا حاكم أن يحكم على إنسان إلا بما قد ظهر منه . وآية ذلك أن المصطفى صلى الله عليه وسلم كان يحكم على المنافقين بما ظهر منهم، ولم يكن يخترق ظواهرهم إلى شيء من البواطن قط . ونلاحظ ذلك من خلال تعامله مع رأس المنافقين " عبد الله ابن أبي ابن سلول "، وكان يقضي معه بما ظهر له على أنه مسلم . وهذا دليل للميزان الثاني .

أدلة أخرى : ـ من ذلك ما رواه مسلم وابن ماجة وأبو داوود، بسنده من حديث أسامة ابن زيد رضي الله عنه، قال :"**بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية، فصبحنا المكان من جهينة رأيت رجلا من المشركين فأدركته، فقال الرجل أشهد أن لا إله إلا الله، يقول فطعنته، فوقع في نفسي من ذلك شيء، فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأخبره بما جرى** " فقال :" **أقتلته بعد أن قالها** ؟" قلت :" **يا رسول الله إنه قالها خوفا من السلاح** ." فقال :" **أقتلته بعد أن قالها** ؟ عاد فقال :" **إنه قالها خوفا من السلاح** " قال :" **هلا شققت على قلبه لتعلم أنه قالها كما تقول** "أي لا تستطيع أن تتجاوز الظاهر إلى أفئدة الناس.فقال أسامة :" **فتمنيت لو أني أسلمت في ذلك اليوم** "

ـ من ذلك أيضا ما رواه الشيخان البخاري ومسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :" **إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من الأخر، فأقضي له على نحو ما أسمع، فمن قضيت له بحق أخيه شيئا فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من النار** "

ـ يروي الإمام مالك في موطئه عن " عطاء ابن يزيد الليثي " عن " عبيد الله ابن عدي ابن خيار " قال :" **جاء رجل فاخترق المجلس وأخذ يُسَارُ رسول الله صلى الله عليه وسلم (أي يهمس في أذنه بكلام لم نسمعه) فلم ندري ما ساره حتى جهر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا به أي الرجل يشاوره في قتل رجل من المنافقين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم له** :" **أليس يشهد أن لا إله إلا الله** ؟ قال :" **بلى ولا شهادة له** . فقال الرسول :" **أليس يصلي** ؟ قال :" بلى ولا صلاة له . قال :" **أولائك الذين نهاني الله عنهم** " أي ليست مهمتي أن أخترق الظواهر، وإنما مهمتي أن أحكم بالناس ولناس حسب ما يتبدى لي منهم .فإذا كان برسول الله لا يمكنه أن يدخل بفراسته وذكائه في قلوب الناس، أفايملك هذا الرجل الذي جاء يستشير رسول الله في قتل رجل أيملك ذلك ؟؟

نسقط على هذين الميزانين كل الأحكام التي تواجهنا والتي قد تلتبس علينا .

مثلا :البارئ عز وجل يقول :" وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا " حسب الظاهر هذه معصية أدنى من الشرك، ومقتضى حكم الله أنه" لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ " أي من قتل مؤمنا عمدا يمكن أن يغر الله عز وجل له، إذا كيف نفسر الآية السابقة لمن قتل مؤمنا متعمدا ؟نفسرها على ضوء قول الله تعالى :"لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ "أي إذا قتله معتقدا إباحة قتله، هنا تحول عمله من معصية إلى اعتقاد ما يُكَفِرْ. أما قتل المؤمن البارئ بدون ذنب من المعروف بداهة أنه غير جائز . وإذا زيد من الناس قتل شخصا أثناء ثورة غضب الذي أفقده توازنه العقلي، لا نستطيع في هذه الحالة أن نكفره، نقول هذا الشخص عصى الله تعالى ربما غفر له وربما عاقبه .

كذلك البارئ عز وجل يقول :" وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ " ظاهر الآية أن زيدا من الناس هو حاكم في أسرته، يأمر أولاده بما قد حرم الله سبحانه . أو ولي أمر المسلمين حكم في دولته بغير ما أنزل الله تعالى . بحسب ظاهر الآية فهو مطلق . على ضوء الميزانين اللذين ذكرناهما تفسر هذه الآية، حيث ننظر إلى هذا الذي حكم بغير ما أنزل الله في أسرته أو مجتمعه، نتساءل لماذا فعل ذلك ؟ إذا رأيناه أنه حكم بغير ما أنزل الله استخفافا بأمر الله، وإنكارا لشريعة الله، عندئذ يكفر بسبب عقيدته هذه، لكن إن سألناه قال أنا أعلم مثلا أن الحجاب واجب، لكن يا أخي هذه الفتاة لا يمكن أن توظف في هذه الوظيفة لذلك قلنا الله يغفر لها إن شاء الله حتى لا تطرد . عندئذ لا يكفر هذا الشخص الذي لم يحكم بما أنزل الله . ونفس الشيء لولي الأمر في مجتمع مسلم، مثلا في تعامله بالربا . إذا على ضوء الميزانين فسرنا الآيات التي توهم على خلاف ما عرفناه من الأحكام .

تطبيقات وأمثلة عن الردة : الإنسان يتعرض لردة لسبب من ثلاث أسباب على ضوء الميزانين المذكورين .

1. كلمة أو قول ينطق به اللسان : يكون القول سبب لردة إذا نطق الإنسان وهو عاقل مختار،غير ملجأ أو ملزم أو مكره، نطق بما يتضمن إنكار حقيقة معروفة من الدين بضرورة والبداهة، عندئذ يرتد، مثلا أنكر الصلاة بأنها غير واجبة وأنه لا يعترف بها، وغيرها من الفرائض .

في بعض الأحيان الإنسان ينطق بشيء إذا أردنا أن نفهم كلامه حقيقة لا مجازا مشكلة، وإذا أردنا تأويل كلامه بالمجاز لا مشكلة، في هذه الحالة لا نستطيع تكفيره . مثل قول إنسان " لا شك أن لهذا العالم قوة عظيمة أوجدته " هناك من يكفر هذا لقوله قوة باعتبارها وصف، وهي لا تقوم بذاتها، وإنما هي حال لموصوف . لكن لا نكفر صاحبه لوجود المجاز في اللغة واسع، وأكيد قصده ذو قوة أوجدت . لنتأمل كلام لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث صحيح يقول :" **لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر** " هذا كلام مجازي يقصد به أن الدهر الذي هو تقلبات الأزمان من ظروف وأحوال وأوضاع تمر على الأسرة الإنسانية، والله تعالى هو الذي يجري هذه الأحداث وقضى بها .وعلينا أن لا نلعن تلك الأحداث . لا يجوز تكفير إنسان مسلم سمح لنفسه أن يخرج من دائرة الحقيقة إلى ساحة المجاز مستعملا عبارات مجازية. قد ننبه القائل كان الأفضل أن تستعمل ذو قوة أوجدت العالم، لأن في الناس العوام و الجاهل ...

2. فعل يمارسه الإنسان : كل فعل يتضمن دلالة على إنكار ما هو معروف من الدين بالبداهة، مثلا نظر إلى صنم فهوى ساجدا له، حرا مختارا دون أن يجبره أحدا على ذلك، وهو يعلم معنى السجود، فقد ارتد، وفعله يحمل نفس الدلالة التي يحملها القول . أو وضع الصليب في عنقه، والصليب ذو دلالة يقول أن سيدنا عيسى قد صلب، هذا الفعل يتنافى مع ما هو معروف من الدين بضرورة، صاحبه مرتد .

3. سخرية تبدر من الإنسان : تكون السخرية بوسائل كثيرة جدا وهي تأخذ حكم القول المكفر كما تأخذ حكم الفعل المكفر . مثلا عمد إلى المصحف فتصرف تصرفا ساخرا في حقه هذا من أسباب التكفير . رسم صورة لرسول الله كاريكاتورية ساخرة، هذا العمل يتضمن ما يتضمنه القول المكفر أو الفعل المكفر . أو زيد من الناس سخر بأية من القرءان،أو سخر بحكم من الأحكام الشرعية المعروفة من الدين بضرورة. توجد أمور هي أحكام العلماء يعرفونها لكن العوام لا يعرفونها، ذكر حكم من هذه الأحكام أمام رجل من العوام،فأنكره ولم يصدقه ،لا نكفره لأنه يعبر عن جهله، ولا يعبر عن انتقاده على الشارع، هذا ليس مرتد.

والإمام أحمد من أشد الناس ابتعادا عن الغلو في الدين، حيث يرى أن مرتكب حرمة من المحرمات كشرب الخمر أو أكل لحم خنزير وغيرها لا نعتر صاحبه كافر أو مرتد إلا إذا أنكر حرمته، وإنما نعتبره فاسق مرتكب لمعصية بسبب رعونته وإتباعه هواه . ولا نكفر الناس لمجرد ما نراه دون

التعرف على عقيدة هؤلاء . ولا نسخر أمزجتنا وعصبياتنا في مكان نصوص الشريعة الإسلامية وكلام رسول الله .

(الدرس 45)

ـ من خلال ما تقدم يمكننا استنتج قاعدة وهي لا يمكننا أن نحكم حكما جماعيا بالردة على جماعة من الناس، وهذا يتجلى لنا من أسباب الردة القولية والفعلية والداخلة في أنواع السخرية . وبناء على ما قلنا فإنه لا يجوز لنا أن نقول الجماعة الفولانية أو الطائفة أو القرية الفولانية أصحابها مرتدون كفرة .ذلك لأن الضوابط التي بينها في أسباب الردة لا تستطيع أن تتبينها في حكمك على فئة من الناس .

ـ كما لا يجوز لنا أن نحكم على السلالة بما حكمنا به على الآباء، مثلا في فترة من الفترات علما أن جيل ما أعلنوا ردتهم وكفرهم بسبب واضح متفق مع الضوابط التي ذكرت، انتهى ذلك الجيل وأعقبه جيل بعده، لا نحكم عليهم بما حكمناه على آبائهم .

ـ إذا كان احتمال ردة زيد من الناس بدلائل تصل إلى تسعين بالمائة، عند علماء العقيدة عليك أن تحكم له بموجب العشرة بالمائة، ولا يجب أن تحكم عليه بموجب التسعين بالمائة . واجتهادك أنه مسلم لا يؤدي بك إلى عذاب وعقاب يوم القيامة، لكن اجتهادك أنه مرتد مع احتمال العشرة بالمائة أنه مسلم فهو حكم له خطر كبير عليك يوم القيامة . الحيطة تقتضي حسن الظن مادام هنالك مجال لذلك .

ـ إذا تبين لنا أن فلانا من الناس قد ارتد بموجب القواعد التي بينها والأسباب وضبطنا أنفسنا بما قد ذكر،

ما الذي تقرره الشريعة الإسلامية في حقه ؟ الشريعة تقول أن هذا الإنسان إذا ارتد يقتل . لكن المجندون لتشويه الشريعة الإسلامية قاموا وقعدوا إزاء هذا الحكم، وأمام وجود هذه الفئة التي تسعى سعيها اللاهث لتشويه الشريعة الإسلامية، فإن المسلمون الآخرين نوعين :

الفئة الأولى منهم : لعلهم لا يتمتعون بمعرفة دقيقة بأحكام الشريعة الإسلامية فيفرون من جهالتهم إلى إغماض العين عن هذا الحكم إما هروبا من المخالفين أو تجملا لهم . فيزداد ذاك المنتقد هجوما .

والفئة الثانية أتيح لها أن تدرس أحكام الشريعة بدقة، وأن يتعاملوا معها بإخلاص لوجه الله، لا تقربا لفئة وفرارا من فئة، ونسأل الله أن يكثر من هؤلاء، ويلهم الآخرين على دراسة الشريعة بدقة، وعندها يتبين لهم أنها هي الخير كله ومصلحة كلها، وبوسعه أن يسكت أو يقنع هؤلاء الذين يجادلون ويصطادون في الماء العكر .

مثلا : لنتصور حال إنسان ارتد بهذه الطريقة :

ـ إنسان مسلم ومؤمن بالله عز وجل ثم إن شبهات طافت بدهنه تتعلق بالعقائد، تغلبت عليه هذه الشبهات فزلزلت عقيدته الإيمانية فدمرتها، لكنه أخذ يجتر كفره بينه وبين نفسه، ما ستعلن ذلك وما تباهى به أمام الناس . ربما أخذ يتحدث عن عقيدته الجديدة في أسرته، وقد يتداول الناس كفره، وقد يصل الخبر إلى المسئولين . نتساءل

هل تلاحقه الشريعة الإسلامية بأي حكم بقتله ؟؟ أبدا نهائيا . والتاريخ الإسلامي مليء بأناس زنادقة، وذكرت تراجمهم وأخبارهم وأنشطتهم، ومع ذلك ما ذكر التاريخ أن واحدا منهم قتل بشكل من الأشكال مثل ابن الرواندي واحدا منهم . مثل هذا الإنسان لا يلاحقه الحكم بالقتل بسبب الردة .

ـ مثال أخر رجل لا نعرفه إلا مسلما مؤمنا ذا عقيدة إيمانية تامة، وفجأة خرج على الناس يفاجئهم بعقيدة أخرى، ويستعلن للقاصي والداني أنه كان تائها وضالا، وأنه عرف الحق وهو ما يتناقض مع الإيمان بالله والقرءان وما إلى ذلك، وأخذ يكتب ويخطب هنا وهناك متباهيا بعقيدته الجديدة، ومتأسفا عن العقيدة السابقة التي كان يعتنقها . نقول عن هذا الإنسان أنه أعلن حربا على المجتمع الإسلامي الذي هو عضو فيه، وأصبح خطر عليه، ومع ذلك فإن الشريعة الإسلامية لم تقل أبدا أنه على رئيس الدولة أن يلتقط هذا الإنسان ويحكم عليه بالقتل، وإنما الحكم الذي قررته الشريعة الإسلامية هو التالي : " يستدعيه ولي أمر المسلمين ويسأله ما الخبر ؟ هل صحيح أنك قد تحولت عن عقيدتك الإسلامية ...؟ طبعا سيجيب متباهيا نعم . ويقال له: هل هنالك شبهات راودتك ؟ طبعا يجيب با نعم، على أنه كان غافلا تائها، فتبين لي أني كنت على باطل

لوجود أدلة تثبت خلاف ما يقوله القرءان .... عندئذ على ولي أمر المسلمين أن يحيله إلى علماء، متمكنين مخلصين مدققين في دين الله سبحانه وتعالى . يجلسون إليه بكل لطف ورقة، ويحاورونه في هذه الشبهات التي طافت بدهنه الواحدة إثر الأخرى ، ويجعلون الميزان المحكم بينهم وبينه هو ميزان العلم . ويقدرون فيه حرية الرأي والفكر . وينتهي النقاش إما على نزول هذا الشخص من عنجهيته وعن عناده، وعن الغاية التي وضعها نصب عينيه، وهي غاية محاربة المجتمع الإسلامي في أقدس ما يملكه وهو العقيدة، وتتبين له الحقائق ويستغفر الله ويعود . أو يركب رأسه في العناد باعتبار أن الخدعة لا تصمد أمام الحقيقة العلمية، لكنه يبقى معاندا، عندها ولي أمر المسلمين يملك أن يعطي هذا الإنسان المدة الزمنية التي يشاء، في سبيل أن تكون هذه المدة رأس مال لحوار مع هذا الإنسان . مضت هذه المدة كلها ويئسنا منه، حيث صمت وظل على كفره وعناده، وأخذ متخذا بكفره وسيلة لمحاربة عقائد الأمة، وننعته بأنه محارب للعقيدة الإسلامية، وعندها يجب محاربته . وهم كاذب إن قال أنه ممارس لحرية الرأي، وإنما هو يمارس الترصد لحرية الرأي لخنقها في الآخرين. فهمنا من هذا كله : أن إقامة الحد على المرتد تقوم على الطريقة التي ذكرت وعلى تلك الشروط، وإقامة الحد عليه بسبب حرابته للمجتمع .

لا حاكمية إلا لله : إن وظيفة الإنسان في الدنيا تنفيذ حكم الله في الأرض .

عرفنا أن هذا الكون لابد له من مكون وآمنا بوجوده بالأدلة العلية وهو خالق لا يشبهه شيء من مخلوقاته، وهو واحد لا ثاني له، ولا يتجزأ ويتصف بكل صفات الكمال، ومنزه عن كل صفات النقصان . وعرفنا أنه لا يعبث وإنما خلق هذا كله لحكمة . وساقنا هذا الذي آمنا به إلى الإيمان بنبوة الرسل والأنبياء الذين جاءوا مع الزمن، وآخرهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، والمهمة التي خلقنا لأجلها أرسلها إلينا عن طريق الرسل والأنبياء . وساقنا هذا الإيمان إلى أن هذا القرءان كلام الله سبحانه وتعالى، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . هذه الحقائق التي وعيناها وعرفناها وآمنا بها، جعلتنا ندرك أننا عبيد مملوكون لله سبحانه وتعالى، وأنه أقامنا في هذه الحياة الدنيا لأداء مهمة . وتبين لنا أن الحاكم على الإنسان وعلى غيره في هذا الكون هو الله سبحانه وتعالى .وحاكمية الله تنقسم إلى قسمين : حاكمية تكوينية، وحاكمية تكليفيه

الحاكمية التكوينية : هي حاكمية الله عز وجل على الحيوانات والطيور والأسماك، وعلى المخلوقات الجامدة من نباتات وغيرها وعلى الأفلاك ... يقودها الله من حيث لا تشعر إلى ما

يريده الله عز وجل وهو ما نجده في قوله تعالى لمقولة سيدنا موسى لفرعون :" **قال فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى** " دله على وظيفته، حيث كل كائن عاكف على تنفيذ ما أمر به من مولاه عن طريق التكوين .

الحاكمية التكلفية : هذه خوطب بها الإنس والجن، والمولى حكم علينا عن طريق الخطاب، حيث بوسعنا أن ننفذ وبوسعنا أن لا ننفذ، والمنفذون لهم أجر لقوله تعالى :" **إن لا نضيع أجر من أحسن عملا** "، وإذا أعرضنا عن هذه الأوامر التكلفية التي حكم الله بها علينا، نحاسب عليها يوم التغابن .

ونجد معنى هذه الحاكمية في قوله تعالى :" **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** "

(الدرس 46)

من المسائل المهمة التي ينبغي لنا دراستها في موضوع الردة والتي هي مما عمت به البلوى في هذا العصر، حيث هنالك كثيرون يسبون الدين ويقعون بسبب ذلك في الردة، علم بذلك أحدهم أم لم يعلم، وهنالك مشكل تتسبب من هذه الكلمات التي تتسبب عنها الردة، وهي فسخ عقد الزواج . ينبغي أن نعلم هذا الحكم، حيث أن زيد من الناس نطق بكلمة الكفر أخرجته من دائرة الإسلام، عليه أن يعلم ما يترتب من ذلك في علاقته بزوجه، وعلينا أن نعلم حكم الشريعة الإسلامية في هذا الأمر بذات، وخلاصته أن ذاك الشخص إذا صحا إلى هذا الذي فعله بنفسه، وعاد فتشهد شهادة الإسلام، وبالنسبة لعلاقته بزوجته أن هذا الإنسان إذا رجع إلى حظيرة الإسلام خلال مدة العدة، سلمت العلاقة الزوجية من الفسخ، وهذا من لطف الله سبحانه وتعالى، أما إذا مرت هذه المدة وبقي على كفره، وعندئذ يتبين أن عقد الزواج قدتما فسخه منذ أن ارتد، لا بعد أن

انتهت العدة، وأن عقد الزواج قد انفسخ مند أن نطق بكلمة الردة . والمشكلة الكبرى أن الذين تعودت ألسنتهم على كلمات الكفر، أنه ربما رجع لكن سرعان ما يغضب مرة ثانية فيكفر مرة أخرى وهكذا ..ومثل هذا الإنسان ربما لا يوجد من يذكره إلى أن يعود إلى حظيرة الإسلام فينطق بالشهادتين، فتمر الأشهر وربما السنوات وهو على هذه الحالة، عندها تكون علاقته مع زوجته قد ألغيت وقد تما فسخ وهو غير منتبه، وإذا مات لا ترثه زوجته، وإذا ماتت لا يرثها هو، ومشكلات كثيرة تقع من جراء ذلك . فينبغي أن نذكر من نعرف من الذين يتساهلون في هذا الأمر .

لنعود لمتابعة دروسنا في العقيدة، في موضوع أن الحاكمية لله وحده لا شريك له .

لقد قلنا أن حاكمية الله تعالى لما عدى الإنسان هي حاكمية تكوينية، أي حاكمية قهر وجبر وإيجاد، أما حاكمية الله تعالى للإنسان حاكمية خطاب وتكليف، وبين له الشريعة التي ألزمك بتطبيقها، و لك على ذلك الأجر الكبير، وإن أعرضت فعليك العقاب الوبيل . وهنالك جانب في حياة الإنسان يتحكم فيه الله تعالى مثل المخلوقات الأخرى، مثل ولادته موته، مرضه فقره وغناه، كلها تقلبات يتحكم فيها الله تعالى دون اختيار منَّا . وهذا الإله الذي خلقني ينبغي أن أقول له :" إن صلاتي ونسك ومحياي ومماتي لله تعالى، مثلما كان يقول سيدنا إبراهيم خليل الرحمان .

لنفتح هنا باب المناقشة

ـ هنالك من يأتي الآن ويقول أن أحكام الشريعة الإسلامية التي أمرنا بتطبيقها، تبين أنها غير صالحة لكل زمان ومكان . قلنا كيف ؟ قال : "إن الشريعة الإسلامية لم تعلن عن صلاحيتها إلا في الفترة القصيرة، من حياة رسول الله، ثم جزء من حياة الخلافة الراشدة، من حياة خلافة أبا بكر فسيدنا عمر وجزء من حياة سيدنا عثمان، وبعد ذلك بدأت الفتن، وغابت صلاحية الشريعة الإسلامية، وعادت الصلاحية لفترة قصيرة في عهد عمر ابن عبد العزيز، وبعد ذلك جاءت المشاكل والانحرافات وما إلى ذلك، فغابت صلاحية الشريعة الإسلامية من غير رجعة إلى يومنا هذا . إذن حاكمية الله التي تتمثل في تطبيق الشريعة الإسلامية، تبث في التاريخ عدم صلاحيتها ".

وهذا كلام من أراد مناقشتنا في هذا الموضوع .نقول لهؤلاء في الجواب :

أولا : هنالك علم اسمه علم المنطق والمناظرة والذي فيه قواعد، حيث يرد على هذا الكلام **بالمنع** ونقول :"**بل إن الشريعة الإسلامية تبتت صلاحيتها مند أن طبقت في عصر رسول الله صلى**

الله عليه وسلم إلى أواسط عهد الخلافة العثمانية، أي إلى العهد الذي كانت تطبق فيه "دليلنا على ذلك، ويسمى بدليل رد الدعوة عن طريق المنع

نقول هنالك فرق بين تطبيق الشريعة الإسلامية في المجتمع، وبين تحول الناس في طريق الشريعة الإسلامية إلى ملائكة معصومين، والأول لا يستلزم الثاني والعكس أيضا . ما معنى قولنا أن هذه الشريعة صالحة لتطبيق، وأن هذا المجتمع خاضع لأحكام الشريعة الإسلامية ؟ معنى ذلك أن أحكام القضاء في هذا المجتمع خاضعة لأوامر الله سبحانه وتعالى ونواهيه، وأما قوانين الأحوال الشخصية من زواج وطلاق وميراث والحقوق بكل أنواعها . وأحكام الجنايات، وصلة ما بين المسلمين وغير المسلمين كلها خاضعة لشريعة الإسلامية . وإذا تبين أن المجتمع ملتزم بهذه الأمور نقول أنه مجتمع خاضع لشريعة الإسلامية، وهي صالحة فيه لتطبيق.في عصر الخلافة الراشدة كانت أحكام القضاء تنفد تحت أحكام الشريعة الإسلامية، وأيضا أحكام الأحوال الشخصية،وأحكام الجنايات . ولا يستلزم تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية على المجتمع أن يصبح أفرادها ملائكة، ولو كان الأمر كذلك فلا داعي لأحكام الحدود . لكن كان الناس ولا يزالون بشرا، حتى في عصر النبوة . ونقول إن تطبيق الشريعة شيء، وتحول الناس إلى ملائكة معصومون، شيء ثان . وعن الفتنة التي وقعت في عهد سيدنا عثمان، وعهد سيدنا علي رضي الله عنهما لا تتعارض مع أحكام الشريعة الإسلامية لتطبيق، وجميع الأحكام كانت مستمدة من الشريعة، ووقعت الفتنة لأن الناس ليسوا معصومين، ولأن في المجتمعات الإسلامية زنادقة ومنافقين يصطادون بالماء العكر، فا نفاق المنافقين ليس حجة على الإسلام، وكذلك زندقة الزنادقة الذين كانوا ينخرون في نيران الفتنة ليسوا حجة الإسلام . وابن سبأ الذي كان يسمى بابن السوداء وهو يهودي تظاهر بالإسلام هو بطل الفتنة في معركة صفين والجمل .

وهكذا هم أعداء الإسلام يتحدثون بقالات السوء عن المسلمين وخاصة الأبطال منهم، أمثال هارون الرشيد الذي قيل عنه الكثير من السوء، وهو من الأبطال الذين جاهدوا في الله حق جهاده، والغباء أن ندرس عن سيرته من أعدائنا تاركين ما قاله الطبري وابن خلدون والمسعودي . وهارون الرشيد من الذين كانوا يرعون أحكام الشريعة الإسلامية جملة وتفصيلا، وهو الذي فصل القضاء وعين قاض القضاة، وأعطاه صلاحية فوق صلاحية خليفة المسلمين، أي يكون ذاك القاضي حاكما عليه .

(الدرس47)

إعادة شرح وتفصيل في النقطة الأولى ، في مناقشة من يقول بعدم صلاحية الشريعة الإسلامية لتطبيق الآن .قبل التطرق للمعذرة الثانية، أضعكم أمام مثال يبرز فيه أكاذيب الدجالين الغربيين في تاريخنا ويبرز مدى تفاهة وذل ومهانة بعض العرب الذين يُطأطئون الرأس ذلاً لأولئك الكاتبين الأعداء،هاتان الظاهرتان تبرزان في هذه القصة :

إلى أواسط السبعينات من القرن الماضي، كان كتاب التاريخ المقرر إلى طلاب الصف الأخير الإعدادي، فيه التاريخ العباسي، وفيه بيان لحياة هارون الرشيد، وفيه قصة ذكرت عن هارون الرشيد، أخذت من مراجع أجنبية، يقول مؤلف هذا الكتاب متحدثين عن البذخ الشديد الذي لا يكاد العقل يتصوره في حياة هارون الرشيد يقول:"وقد وصل هارون الرشيد من البذخ والترف إلى درجة أنه كان ينفق على طبق جانبي في مائدته مائتي درهم " أكيد أن التلميذ لما يقرأ هذا الكلام، يشمئز من هذا الإنسان، ويتساءل إذن المائدة كلها كم كلفت ؟ تأملت وبحثت عن أغوار هذه القصة، وانظر لما تقرأها من ينابيعها ، أي من كتب التاريخ العربي، وانظر كيف تتصور شخصية هارون الرشيد عندما تقرأها في كتب الدجالين .

المهدي خال هارون الرشيد دعاه إلى بيته، ذهب هارون الرشيد إليه ونزل ضيفا عنده، في المساء دعاه خاله إلى طعام، فقام وجلس إلى مائدة الطعام، نظر فوجد طبقا صغيرا فيها قطع لحم صغيرة جدا جدًا، فسأل وكان الطباخ واقفا قال :" لماذا صغر طباخك قطع اللحم بهذا الشكل ؟ فأجابه الطباخ من ورائه قال :" يا سيدي هذه ألسنة الأسماك . فقال هارون متعجبا :" ألسنة أسماك ؟؟ كم سمكة أتيت بها حتى ملأت هذا الطبق بها ؟؟ وكم كلف هذا الطبق ؟؟ قال :" والله كلف مائتي درهم . رفع يده هارون الرشيد عن المائدة، وقال لطباخ :" خذ هذا الطبق وامضي به إلى الشارع وأعطه لأول مسكين تراه . ولما أراد أن يذهب استعاده وقال له:" قل لهذا الإنسان الذي تعطيه هذا الطبق أنه يساوي كذا " ثم عاتب خاله على هذا البذخ . إذن هارون الرشيد رفع يده عن المائدة ولم يرضى أن يأكل منها لقمة، حتى اطمأن إلى أن هذا الطبق ذهب وأعطي لفقير، ثم إنه أخرج من حر ماله مبلغا كبيرا أمر أن يتصدق به على الفقراء، لأنه تصور أنه هو السبب غير المباشر، أي هذا إكرام له .

هذه القصة تجعل هارون الرشيد من أعز ما تفتخر به الأمة العربية والإسلامية، لكن الأوغاد الأعداء الحاقدون أحفاد نكفور الذي حاربه هارون الرشيد، أبو إلى أن ينكسوا هذه القصة . والغرابة أن مؤلفي عرب مسلمين يأتوا بكل ذل ومهانة، ويأخذون القصة من أقلام أعدائهم الأوغاد، والمكتبة العربية الإسلامية أمامهم، ولا يلتفتون إليها. وإذا كان الأمر بالعكس طلبنا من طالب غربي أن يحدثنا عن شخصية غربية مثل وليام جيمس مثلا، هل يمد يده إلى كتاب عربي، في ذكره لهذا الإنسان ؟ والله سيشع في وجه من يدله على كتاب لعربي ذكر هذه الشخصية، وهو طالب إعدادي .

خلاصة القول :" **أن الشريعة الإسلامية برهنت خلال التاريخ الغابر على أنها الشريعة التي تتجاوب وتتفاعل مع مصالح الأسرة الإنسانية جمعاء حيثما وجدت، على النقيض مما يتصوره هؤلاء الذين تحدثنا عنهم، وتطبيق الشريعة الإسلامية لا تستلزم أن يكون المطبقين لها معصومين من الذنوب** "

ثانيا : المعذرة الثانية تتلخص فيما يقوله بعض الناس وهي قولهم : " أن القرءان يأمرنا بأن ننفذ قانون العدالة في المجتمع، حيث أن الله سبحانه وتعالى يأمر عباده بالعدل، وإذا طبقنا قانون العدل بأي وسيلة وبأي طريقة، أو بأي قانون نكون قد نفذنا أمر الله " أي ليس الإنسان المسلم مضطرا أن يقيد نفسه بسلسلة الأحكام الجزئية الموجودة في القرءان وفي الحديث أي السنة، من أجل تطبيق العدالة ".هذا ما يقوله أناس . الجواب عن هذا التالي :

" إذا كان هذا صحيحا إذن ما من أمة من أمم الأرض إلا وقد أرضت ربها سبحانه وتعالى فيما طلبته منها، أي إذا كان مطلوبا من المجتمع الإنساني تطبيق العدالة بأي وسيلة من الوسائل، نجد أنه لا وجود أي مجتمع يدعي أنه غير مطبق لمبدأ العدالة، لو سألت إسرائيل حكامها قضاتها وغيرهم لأتو إليك بمئات الأدلة على أنهم مطبقون لمبدأ العدالة، ولو سألت أمريكا لقالت لك أنا التي أطبق العدالة وفي سبيلها أنا أقاتل، وغيرها من الدول كلها تزعم أنه تطبق العدالة، وهي العدالة التي في رأسها وتزعم أنها هي العدالة . وقد علم الله عز وجل أنه لو طلب من عباده أن يحققوا الهدف دون أن يضبطهم بوسيلة إليها، لادعوا جميعهم أنهم مطبقون للهدف . ولهذا ربنا سبحانه لم يأمرنا بالهدف فقط، بل تعبدنا بالوسيلة التي شاءها إلى هذا الهدف .أي أمرنا بالغاية وأمرنا أيضا

بالوسيلة إلى هذه الغاية . لهذا أمرنا أن نحكم بما أنزل الله :" **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون** "

إذا هذه المعذرة غير مقبولة وغير منطقية، والذين يرفعون شعار هذه المعذرة يعلمون أنهم كاذبون، والذي يقول هذا الكلام كأنه ينتقد رب العالمين فيما قاله وأمر به . هذا شيء، والشيء الآخر من الذي قال أن المجتمعات الإنسانية كلها مجمعة على معنى العدالة التي ينبغي أن تلتقي عليها الأسرة الإنسانية ؟؟ أي مغفل يمكن أن يتصور هذا . إلا أن الحقيقة أن كل دولة تتصور العدالة حسب ما يروق لها، وكل دولة تفسر العدالة حسب النسيج الثقافي الذي ورثته هذه الأمة أو هذا المجتمع . لذلك تجد من يتنكب في أودية الظلم والطغيان يعد نفسه أنه مطبقا لمبادئ العدالة الاجتماعية . وكثيرون هم الذين يبحثون عن السعادة والرخاء لأنفسهم غير مبالون بالآخرين سعدوا أم شقوا . هكذا هي حال المجتمعات الإنسانية . إذا لم تأتي تعليمات من عند رب العالمين، وإذا لم تدرك هذه المجتمعات أنها مملوكة لخالق، وأنها كائنات تعبد الله تعالى بالقهر والاضطرار إن لم تعبده بالسلوك والاختيار. وعلم الله تعالى أن المجتمعات سيأكل القوي منها الضعيف، لهذا أوجد هذه التعليمات . حيث أنه تعالى أولا أنبأهم عن هوياتهم وحقائق دواتهم، ثم بين لهم دلائل وجود الله، وبعد ذلك أرسل لهم خطابا ينبههم فيه إلى المنهج الحقيقي للعدالة، وإلى القوانين التي تأخذ بأيديهم إلى ساحة العدالة فعلا، العدالة في حق الذات، وفي حق الأسرة، والمجتمع، وأيضا بين المجتمعات .

ونفهم من هذا كله أن العدالة التي لم تستنبت في تربة الدين الحق لا يمكن أن توجد، وتلك العدالة البعيدة عن مبادئ الدين والإيمان بالله هي خيال ووهم ولا يمكن أن يطبق . ولذلك ربنا سبحانه لما قال :" **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** " وكأن الذين نزلت عليهم هذه الآية تساءلوا : يا ربي وكيف السبيل إلى هذه العدالة ؟ جاء الجواب في قوله تعالى :" **قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ** " وسبل السلام أي سبل العدالة .

إذا الذين يقولون أننا مكلفين بإقامة دولة العدل ولسنا مكلفين بدولة الدين فهو دجال أشر . ولا يمكن لعاقل أن يقول هذا الكلام . وإسرائيل تقول بخ بخٍ وتصفق لهذا الكلام وأمريكا أيضا . والعدالة لن تقوم إلا في ظل التوحيد والإيمان بدين الله تعالى . ولهذا نزل البيان الإلهي الذي يبين لنا

السبل التي تتحقق بها العدالة، مثل قانون الأسرة ومبادئ العدالة الاقتصادية وكلها نأخذها من موازين الله وسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم .

(الدرس 48)

الخاتمة

انتهينا في رحلتنا هذه المتمثلة في دراسة الدلائل العلمية المختلفة المأخوذة من القواعد العلمية والمنطقية، والمأخوذة من نصوص كتاب الله سبحانه وتعالى ومن الصحيح المتواتر من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، كلها من أجل الوصول إلى معرفة الحقيقة . والكون فيه حقيقة واحدة ذات زوايا كثيرة وأجنحة متعددة . وانتهينا بحمد الله تعالى إلى يقين علمي :

ـ بأن هذا الكون له مكون، لا يمكن للعقل أن يخالف ذلك، وأن هذا المكون خالق وليس بمخلوق .

ـ وهذا الخالق بناء على الأدلة النقلية والعقلية والمنطقية متصفا بكل صفات الكمال، ومنزها عن كل صفات النقصان، ومن أبرز صفات الكمال أنه حكيم في خلقه ولا يعبث .

ـ ساقانا هذا الإيمان إلى الإيمان بالرسل الذين ابتعتهم الله عز وجل خلال القرون المنصرمة . لأجل تبليغ المهمة التي كلفنا بها .

ـ وساقنا هذا إلى الإيمان أن القرءان هو كلام رب العالمين، ونظرنا في هذا القرءان الذي أوحى الله به إلى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ليخاطبنا به ،وجدنا هذا القرءان يتحدث عن المهمة التي خلقنا لأجلها، والوظيفة التي ينبغي أن ننهض بها، ووجدناه يتحدث عن الجزاء المنوط لمن أحسن، ولمن أساء . حيث يعد المحسن بالأجر الوفير الذي لا يكاد يتصور، ووجدناه يتوعد المسيء بالعقاب الوبيل .

ـ ثم ساقنا هذا إلى الإيمان بأحداث ما بعد الموت، من تعرض الميت لعذاب القبر أو نعيمه، ومن أحداث يوم القيامة، وحشر الله عز وجل الناس جميعا من سلسلة آدم عليه السلام إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، كلهم في محشر واحد .

ـ ساقنا هذا إلى الإيمان بالحساب، والميزان والصراط، فالمصير الأخير ألا وهو الخلود في الجنة أي ذلك النعيم الأبدي المقيم، أو في النار ذلك العذاب الأبدي أيضا .

هناك أمران اثنان أريد قولهما وهما :

الأمر الأول : بماذا برهنا على هذه الأمور التي أيقناها وجددنا إيماننا بهذه الأدلة وترسخت الحقائق أكثر في أدهاننا، ما هي الأدلة التي اعتمدنا عليها ؟ هل كانت أدلة مشروعة سليمة ؟ أم العكس ؟ الجواب أن الأدلة التي اعتمدنا عليها مزيج من أدلة عقلية منطقية وعلمية، وأدلة نقليه . وعرضنا لكل موضوع من موضوعات العقيدة الدليل الذي يتناسب معه . **مثلا** : لما عرضنا لمشكلة أن هذا الكون قديم لا أول له كما يقول بعض المتفلسفين ، وهذه شبهة لأن قولنا هكذا يضطرنا إلى القول أن لا مكون لهذا الكون . والدليل الذي اعتمدنا عليه في تمزيق هذه الشبهة، لا بد أنه دليل علمي فلسفي، وهو قولنا أن تسلسل العلل المتوالدة بعضها من بعض إلى ما لا نهاية مستحيل عقليا وفلسفيا، وبسطنا في ذلك من خلال درسين .وهناك من قال أن الكون وجد عن طريق التفاعل الذاتي . ورددنا على ذلك بحجة علمية، وقلنا أن رجحان شيء على شيء آخر بدون مرجح مستحيل، أي أمران متساويان إذا رجح أحدهما على الأخر لابد من أن عاملا خارجيا تدخل . وهناك شبهات أخرى تتعلق بنصوص من القرءان أو أحاديث رددنا هذه الشبهات بنصوص .

ـ بالنسبة للأمور الغيبية وما يجري بعد الموت، العلم يقول في القضايا العلمية أن دليلها الخبر الصادق الذي يأتيك عن طريق سند يرقى إلى درجة التواتر متصل بمصدر هذا الخبر، وفصلنا القول في شرعية هذا الدليل ومنطقيته وعلميته .

من خلال ما تقدم نتساءل هل استعنا في رحلتنا هذه، ونحن نعرض الأدلة على حقائق العقيدة بما يسمى علم الكلام؟نعم استعنا به حيث من جملة الأدلة التي ذكرناها وبيناها علم الكلام .

ما هو علم الكلام ؟ هو مصطلح يراد منه أن تستدل على حقائق العقيدة الإيمانية بالأدلة المنطقية، والعقلية الفلسفية، وأن تناقش الآخرين بإثبات العقيدة بهذه الأدلة . وفي هذه الحالة فإنك تتعامل مع علم اسمه علم الكلام .

مثلا : عندما أردنا أن نرد على الذين قالوا أن هذا الكون وجد عن طريق الانفجار الأعظم، قلنا أن الدور عند علماء المنطق مستحيل، أي توقف الشيء على نفسه، أي يكون علة ومعلول في نفس الوقت . وهنا استعملنا دليل علم الكلام .حيث مزقنا هذا بدليل فلسفي، حيث أن تسلسل العلل المتوالدة بعضها عن بعض إلى ما لا نهاية باطلة . هنا استعملنا علم الكلام .

هناك من يقول أن ترسيخ العقيدة بعلم الكلام بدعة، ويستدلون بأن الصحابة لما تلقوا العقيدة من فم رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا النبي استدل بها بعلم الكلام ولا هم استشكلوا هذه العقيدة بسبب شبهات علم الكلام . آيات قرءانية ملأت أدهانهم قبولا، وهيمنت على قلوبهم عاطفة وحبا وتعظيما فآمنوا . وحتى العصر الذي بعد الصحابة نفس الشيء، وكل خير في إتباع ما سلف وكل شر في ابتداع من خلف . إذا علم الكلام بدعة .

ما القول الفصل في هذا ؟ ذكر الإمام الغزالي جوابا دقيقا علميا، يريح العاقل ويطمئنه قال :" علم الكلام مثل الدواء، وأدلة القرءان التي نتلوها ونتدبرها مثل الغذاء، وكل واحد منَّا وفي كل الأحوال يحتاج لتثبيت عقيدته إلى أن يتدبر كتاب الله عز وجل، لكن المريض يحتاج إلى جانب الغذاء إلى دواء " والمريض في جانب العقيدة هو الذي يدرس في كلية الآداب قسم الفلسفة، على أيدي أناس فاضت عقولهم بشبهات، فأصابته عدوى هؤلاء الأساتذة، وفاض عقله من تشويشات فلسفية زلزلت عقيدته الإيمانية، ويعتبر هذا مريض في فكره الإعتقادي . ودواؤه أن نناقشه في الشبهات التي ترسخت في دهنه، من جنس الأدلة التي يدرسها في كليته .لكي نوضح له أن قانون الفلسفة يقول هذا باطلا، وأن هذا زيف دخل الفلسفة . هذا هو الحق الذي قاله الغزالي . لكن إذا جاءك من لم يتلوث فكره بشبهات الفلسفة، وأراد أن يفهم كونه جاهل أمي لا يعلم، لا داعي أن نضعه إلى أكثر من دليل هو كتاب الله عز وجل، وسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، أي هو بحاجة إلى غذاء . والقرءان يأمرنا بهذا في قوله تعالى :" **ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**" ومعنى جادلهم أي خذ منهم باطلهم ورده عليهم ممزقا .

إذا كلما كانت الحاجة إلى أن نستدل على حقائق العقيدة بالأدلة المنطقية والفلسفية يجب ذلك . وكلما وجدنا أن الحاجة لا تدعو إلى هذا لا نتكلف ولا نتنطع خاصة للبسطاء. ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيما يرويه مسلم في صحيحه :" **هلك المتنطعون** " . والمتنطعون أيضا الذين لا يستعملون علم الكلام للاستدلال بمن استشكل عند من درس الفلسفة التي أدخلت الريب والشك في دهنه . إذا التنطع أن تتقعر في أمر لست بحاجة إليه، أو أن تتكلف طريقا صاحبك ليس بحاجة إليه، من أجل أن تبرز علمك ...

من خلال هذه الدروس أملنا أن تكون قد انتقلت بكم من اليقين العقلي إلى الهيمنة العاطفية، لكن كثيرون هم الذين سيقولون أن إيماننا هذا حملنا أوقارا من المسئوليات الضخمة، وربما قال قائل وأنا أجدني عاجز عن حمل هذه المسؤولية، بعدما كنت حر أتصرف كيف أشاء، الآن ينبغي أن أقيد نفسي، وأن أسير طبق المنهج الذي أراه في كتاب الله عز وجل .

كيف السبيل إلى أن أستطيع أن أتفاعل سلوكيا مع مبادئ العقيدة التي آمنا بها الآن؟ كأنه يوشك مثل هذا السائل أن يدخل إلى مرحلة ازدواج الشخصية، حيث أنه من حيث فكره وعقله مؤمن بالله تماما، ومن حيث السلوك كان حرا طليقا يفعل ما يشاء، وهو يحاول أن يضيق على نفسه ويطبق الأمور كما أمر الله عز وجل، يجد عنةً وشِدةً، وهو مهدد بالوقوع في ازدواج الشخصية.

الجواب : نقول لذاك السائل كلنا ذاك الرجل، ولست أنت الضعيف في تنفيذ أوامر الله عز وجل والابتعاد عن نواهيه وغيرك قوي . حيث كلنا إذا عدنا إلى الوضع الذي أقامنا الله عز وجل عليه نجد أننا ضعفاء، والبارئ يقول **:" وخلق الإنسان ضعيفا "** وما من إنسان هدي إلى صراط الله عز وجل إلا وشعر بهذا الإشكال، بين اليقين العقلي وبين مقتضى هذا الإيمان من حيث السلوك .

ما العلاج ؟ إنه شيء واحد هو أن تشكو هذه الحال التي تتحدث عنها إلى هذا الإله الذي أمنت به، إلتجيئ إلى الله واجعل منه وردا دائم . وعندها ستجد النجدة القريبة تأتيك وبلطف رباني كبير، ويقلب الله عز وجل ضعفك قوة، ويحيل وحشتك من الجو الجدي الذي أنت فيه إلى أنس، ويجعلك تستوحش من ماضي حياتك، وتقول الحمد لله الذي نجاني من ذلك التيه الذي كنت أتطوح فيه .والكلمة القدسية التي كان يوصي بها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في أكثر من مناسبة هي كلمة :" **لا حول ولا قوة إلا بالله** " أي لا حول عن المعاصي إلا بعصمة من الله، ولا قوة على طاعة الله إلا بعون من الله سبحانه وتعالى . ومن هنا تفوح رائحة العبودية لله عز وجل .

إلى كل من آمن بالله عز وجل وجوده صفاته كتبه رسله، وعرف قصة هذه الحياة الدنيا، وبقي أن يلتزم نقول له أكثر من الالتجاء إلى الله ،ونحن دائما نقول له :" **إياك نعبد وإياك نستعين** " .

الحمد لله تما بحمد الله تعالى وعونه وتوفيقه ملخص العقيدة الإسلامية كما وردت في دروس معلمنا وشيخنا رحمات الله عليه شهيد المحراب محمد سعيد رمضان البوطي، ونسأل الله تعالى القبول والرضا ومغفرة الذنوب آمين يا رب العالمين .